روايات عالمية للجيب

٣



تأليف : أيان فلمنج

إعداد : د. نبيل فاروق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

١ ـ جريمة ..

توارى قرص الشمس الأحمر وراء الجبال ، فى تمام السادسة ، مخلفا ظلا قاتما على شارع (ريتشموند) ، وعلى أطراف أشجاره المرتفعة ، التى تنتشر فى حدائقه الغناء ، وباستثناء حفيف أوراق تلك الأشجار ، بدا الشارع ساكنا خاويا ؛ فلقد ترك سكانه الأثرياء ، من مديرى الشركات والبنوك مكاتبهم ، وعادوا إلى منازلهم فى الخامسة كالمعتاد ، تأهبا للسهرات شبه اليومية ..

وشارع (ريتشموند) هذا هو أحد أفضل شوارع (جامايكا) ، تصطف على جانبيه القصور المنيفة ، ذات الطرز المعمارية المبهرة ، التى تشف عن عظمة وثراء قاطنيه ، وفى الركن الشرقى منه بناء كبير من طابقين ، له شرفتان كبيرتان ، ترتفعان على أعمدة رخامية ضخمة ، وتمتد أمامه أرض سندسية خضراء ، فرشت بالحصى الملونة ، فى نسق هندسى جميل ، وتنتهى بساحات التنس الأنيقة لنادى الملكة ، الذى يفخر بتاريخ من المآثر والانتصارات يبلغ نصف القرن ، وعلى الرغم من عتاقة مظهره ، إلا أنه لا يزال صالحا كأشهر نوادى

الجزيرة المعروفة فى البحر الكاريبى ، تحتشد أمامه — كل ليلة — سيارات أصحاب الملايين ، الذين يلتصقون بموائد القمـار حتى منتصف الليل ، ومن بينها سيارة القائد العام لقوات الدفـاع فى البحر الكاريبى ، وسيارة المدعى العام لمدينة (كينجستون) ، واستاذ رياضيات معروف ، وعدد من كبار سفراء ودبلوماسيى الدول الأجنبية ..

ومع انتقال عقارب السـاعة إلى السادسة والربع ، راحت الحيـاة تدب تدريجيا فى شـارع الأثرياء ، ومن احد جوانبه ، ظهر ثلاثة من المتسولين الصينيين ، يتجهون نحو اربع سيارات متوقفة على الجانب الآخر ، وهم ينحنون فى ادب جم ، وعصيهم البيضاء تضرب ارض الشارع فى رفق ..

كان اولهم يخفى عينيه خلف منظار ازرق سميك ، ويبدو وكأنما يمكنه أن يبصر بأفضل من الآخرين ، وهو يمسك بيده وعاء صغيرا ، ويضع يده الأخرى على كتف زميله الثانى ، الذى وضع يده بدوره على كتف الثالث ، وقد اغلقت عيون الثـانى والثالث تماما ، وبدا الثلاثة بثيابهم الرثة البالية أشبه بقطار بشرى متهالك ، يمضى بلا صوت إلى جوار الإفريز ، وكان مظهرهم وسط شارع الأثرياء يبدو مضجرا

مثيرا للاشمئزاز والدهشة ، والصفة الأخيرة بالذات تعود إلى أنهم لم يكونوا من الصينيين العاديين ..

كانوا من الصينيين الزنوج !

و هذه الليلة بالذات كانت قاعة المقامرة بنادى الملكة مكتظة بالرواد ، على راسهم القائد العـام (بيل تمبلار) ، ومستر (سترانجوايز) ، رئيس فرع المخابرات ، الذى لم يلبث أن غادر القاعة ، تاركا (بيل) مع رجلين آخرين ، يتجاذبون اطراف الحديث ، فى انتظار عودته ، حيث انطلق هو عائدا إلى مكتبه ، لانجاز بعض الأعمال العاجلة ، وليبرق ببعض الأخبار الهامة إلى القيادة ، ويتلقى تعليمات مسئولى القسم الثالث فى (لندن) ، الذين ينتظرون اتصالاته اللاسلكية الليلة هذه بفارغ الصبر ..

وكانت هـذه عادة من عادات (سترانجوايز) الثابتة : أن يغادر نادى الملكة فى تمـام السادسة والربع ، فينطلق بسيارته لعشر دقائق ، حتى يبلغ فيلته الأنيقة وسط جبال (كينجستون) الزرقاء ، والتى تطل على الميناء ، وهناك تستقبله سكرتيرته الآنسـة (مارى تروبلود) ، فى حجرة خاصـة ، يوصدانها خلفهما فى إحكام ، ثم تجلس (مارى) امام لوحة كهربية ، تمتلىء بالأزرار والأرقام ، ويضـع

(سترانجوايز) سماعة خاصة على اذنية ، وبمعاونة (مارى) ، يرسل رسائله اللاسلكية اليومية إلى رؤسائه ..

و (سترانجوايز) هذا من القلائل الذين اشتهروا بالحزم والصرامة ، والمقدرة الفذة على مجابهة اعتى الامور ، بالإضافة إلى قبضته الفولاذية ، وكان فارع الطول ، نحيفا ، تخفى عينه اليمنى عصابة سوداء كبيرة ، وهو سريع الحركة ، دقيق الملاحظة ، حاضر البديهة ، وكان عقله منشغلا فى تلك الفترة بالمهمة التى أسندها إليه مستر (م) ، مدير المخابرات ، منذ أسبوعين ..

ولقد نجح (سترانجوايز) خلال هذين الأسبوعين فى إماطة اللثام عن الكثير من الظلام والغموض فى القضية ، وكشف أشياء بالغة الخطورة ، عن المجتمع الصينى ، الذى يحيا فى المدينة ، ويسيطر عليها ..

وفى ذلك اليوم ، لمح (سترانجوايز) المتسولين الثلاثة ، وهو يتجه إلى سيارته ، المتوقفة أمام النادى، وادرك ببديهته انهم سيعبرون به فى سيرهم، فاخرج من جيب سترته قطعة كبيرة من النقد ،

القاها فى الطبق النحاس الذى يمسك به اولهم ، نغمغم المتسول :

ــ فليباركك الله يا سيدى .

اتجه (سترانجوايز) فى سرعة نحو سيارته ، وهو يلقى نظرة دهشة اخيرة على المتسولين الثلاثة ، وبدت له طرقات عصيهم ، وهى تضرب الإفريز ، اشبه بطنين عجيب ..

وفجأة ، استدار المتسولون الثلاثة فى سرعة خاطفة ، وتراجع اثنان منهما إلى الخلف ، وبرزت مسدساتهم ، وكل منها مصوب نحو نقطة محدودة من العمود الفقرى لـ (سترانجوايز) ..

وانطلقت ثلاث رصاصات ..

وانتفض جسد (سترانجوايز) فى عنف ، والقت به الضربة إلى الأمام ، واسقطته فى قوة عند الإفريز ، فى اللحظة التى أشارت فيها عقارب الساعة إلى السادسة وسبع عشرة دقيقة تماما ..

وبسرعة انطلقت سيارة كبيرة من جانب الطريق، وحمل راكبوها ، مع المتسولين الثلاثة ، جسد (سترانجوايز) ، فى سرعة مذهلة ، والقوه داخل

صندوق كبير ، إلى جوار المقعد الخلفى ، واحاط المتسولين الثلاثة بالصندوق ، واخفوا جثة (سترانجوايز) بارديتهم السوداء ، ووضعوا على رءوسهم قبعات سوداء ، وهم يلقون بعصيهم جانبا ..

والتفت زعيم القتلة إلى السائق الصينى ، الذى تبدو عليه العصبية ، وقال بصوت جهورى آمر :

ـ انطلق باقصى سرعة .

وتطلع إلى ساعته ، مردفا والسيارة تنطلق كالصاروخ :

ـ تم قتل الرجل فى الموعد المحدود تماما ، ولم تستغرق العملية اكثر من ثلاث دقائق .

وانطلقت السيارة نحو الجبال الزرقاء ..

* * *

تطلعت (مارى تروبلود) إلى ساعة يدها فى قلق ، وهى تعبث فى أزرار اللوحة الكهربية الكبيرة ، فقد تخطت عقارب الساعة السادسة وثمانى وعشرين دقيقة ، اى ان (سترانجوايز) قد تأخر ـ لأول مرة ـ عشر دقائق كاملة ، إلا انها لم تلبث ان لمحت انوار سيارة تقترب ، فتنهدت فى ارتياح ..

ها هوذا فى طريقه إليها ..

أسرعت تلتقط سماعته الخاصة ، وتضعها على مقعده المجاور لمقعدها ، توفيرا للوقت ، وتطلعت مرة أخرى إلى ساعتها فى توتر ، فسيبدأ الاتصال بينها وبين (لندن) بعد ثوان ، وهى لا تدرى ماذا تفعل ، لو لم يصل (سترانجوايز) فى موعده ، فلو انها حاولت الرد بصفته ، لانكشف أمرها على الفور ، ولتصور الرؤساء فى (لندن) ان مكروها قد اصاب (سترانجوايز) ، وان الذى يتراسل معهم هو احد الاعداء ..

وفى السادسة والنصف تماما ، ومع بدء الاتصال ، سمعت (مارى) وقع أقدام تقترب ، فتنهدت فى ارتياح ، وهى تسمع (لندن) تقول :

ـ هل تسمعنى ؟.. هل تسمعنى ؟

اقترب وقع الاقدام من الحجرة فى سرعة ، واجابت (مارى) :

ـ نعم .. اسمعك بوضوح تام .. اكرر .. اسمعك بـ ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما سقطت ضربة قوية على كتفها ، واستدارت فى هلع ، فوقع بصرها على

رجل ضخم ، يسد باب الحجرة ، ويمسك بيده مسدسا ضخما ..

ولم يكن هذا الرجل هو رئيسها (سترانجوايز) ، بل كان صينيا من الزنوج ..

واطلقت (مارى) صرخة مدوية ، ابتسم لها الصينى ابتسامة عريضة هادئة ، واطلق نحو صدر (مارى) ثلاث رصاصات ، سقطت إثرها الفتاة جثة هامدة ، وسقطت السماعات عن أذنيها ، وارتفعت منها همهمة غامضة ، توقفت فى سرعة ، مع اشتعال مصباح احمر خاص ، يشير إلى حدوث أمر ما فى المحطة الخاصة ..

وبكل الهدوء والاطمئنان غادر الصينى الحجرة ، وعاد إليها حاملا كيسا كبيرا ، دفع داخله جثة الفتاة ، وسحبه إلى ردهة الفيلا ، ثم عاد مرة ثالثة ، وفتح خزانة كبيرة فى ركن الحجرة ، واخرج منها كتب الشفرة ، القاها وسط الحجرة ، ثم انتزع الستائر ، وغطى بها كومة الكتب التى صنعها ، ورص حولها عدة أصابع من الديناميت ، ثم أشعل النار فى أثاث الفيلا ، وفتح بابها على مصراعيه ، ليسمح للهواء بالتدفق داخلها ، وسحب الكيس الذى

يحوى جثة (مارى) إلى الخارج فى هدوء ، فتقدم منه زميلاه ، وحملا الكيس ، والقياه فوق جثة (سترانجوايز) ، وانطلقت بهم السيارة مبتعدة ، ومن خلفهما اشتعلت النيران فى الفيلا ..

وعندما غاصت جثتا (ستراجوايز) و (مارى) فى اعماق نهر (موناريزير فوار) ، إلى الأبد ، كانت النيران قد التهمت فى شراهة كل اوراق الخدمة السرية فى البحر الكاريبى ..

وكانت الجريمة قد نجحت تماما ..

* * *

٢ – رقم (٠٠٧) ..

جاء شهر مارس بعد ثلاثة اسابيع من هذا الحادث، حاملا معه ابشع عاصفة جليدية شهدتها (لنـدن) منـذ سنوات طـوال ، وعلى الرغم من البرودة الشديدة ، توقفت سيارة (رولزرويس) كبيرة امام مبنى ضخم ، فى ساحة (ريجنت) ، وهبط منها مستر (م) ، مدير المخابرات البريطانية ، وحبات الثلج تتساقط على وجهـه فى عنف ، وبدلا من ان يحتمى منها بدخول المبنى ، راح يتحدث مع سائق سيارته فى هدوء ، ويطلب منه ان ينصرف باقى اليوم ، ثم اتجه إلى المبنى ، وحمله المصعد إلى مكتبه فى الدور الثـامن ، حيث جلس اخيرا خلف مكتبه المكدس بالأوراق ، داخل حجرته الدافئة ، وضـغط زرا صغيرا امامه ، وهو يقول :

— اريد كل البرقيات أولا يا مس (مونبنى) ، وبعدها اتصلى بسير (جيمس مولونى) فى (سان مارى) ، وابلغى مدير المستخدمين اننى اريد مقابلة رقم (٠٠٧) بعد نصف سـاعة ، واحضرى ملف (سترانجوايز) .

لم تمض إلا لحظات حتى كانت سـكرتيرته مس (مونبنى) امامه ، حاملة مجموعة ضخمة من البرقيات ، والملف المطلوب ، وبعدها اضىء مصباح أصفر صغير على جهاز امامه ، فالتقط سماعة هاتفه ، وقال :

— مرحبـا يا سير (جميس) .. الديك خمس دقائق اليوم ؟

اجابه (جيمس) :

— بل سـت من اجلك .. اتريد منى ان اراقب وزيرا من وزراء صاحبة الجلالة ؟

ابتسم (م) ، وقال :

— لا .. ليس اليـوم .. إننى اتحـدث إليك بشأن الرجل الذى أفرجت عنه أمس ..

هل يصلح للعمل مرة أخرى ؟

اجابه (جيمس) فى حماس :

— بالتاكيد .. لقـد شفيت ساقه ، وهو الآن سليم معافى ، ولكن الواقع انك ترهق رجالك كثيرا يا مستر (م) ، وينبغى ان تمنح ذلك الرجل عمـلا بسيطا هذه المرة ، فلقد علمت انه قد تعرض لأزمات مخيفة فى الأعوام السابقة .

زمجر (م) ، وهو يقول :

— إنه يحصل على اجر مرتفع ، ولن يكون اول من حطمته المخـاطر ، ثم إنه ما زال يحتفظ بكل

قوته .. لقد أرسلت إليك رجالا اجتازوا الاهوال ، وفقد بعضهم كل شىء ، فى حين انتصر الآخرون بكل جدارة .

قال (جيمس) فى ضيق :

ـ من السهل ان تتحدث هكذا ، وانت بعيد عن الالم ، ولكن رجلك هذا تعرض لأبشع الوان الالم والعذاب ، ولا تتصور ان هذا لم يحدث ، لمجرد انه لم يفقد ضلعا او طرفا من اطرافه ، فلقد تعرض لآلام لا توصف .

غمغم (م) :

ـ هذا صحيح ، ولكن (بوند) يعمل بتهور ، ولابد ان يدفع ثمن تهوره هذا .

ولما لم يكن يميل إلى ان يلقى الآخرون نصائحهم على اذنيه ، خاصة ولو كان هؤلاء الآخرون ، مثل سير (جيمس مولونى) ، أعظم أطباء (إنجلترا) ؛ لذا فقد أبدل الحديث فى سرعة ، مستطردا :

ـ هل سمعت عن رجل يدعى (بينزستينكرون) ،

ـ لا .. من هو ؟.

ـ إنه طبيب امريكى ، وضع كتابا عن مدى احتمال الجسد البشرى للتعذيب ، وقد ارسل إلى

رجالنا فى (واشنطن) نسخة من هذا الكتاب ، وهو يحوى قائمة بالأعضاء التى يمكن ان يتخلى عنها جسم الإنسان ، ويعمل بدونها .

والتقط من جيب سترته ورقة ، تابع وهو يقرأ محتوياتها :

ـ ها هى ذى القائمة : الحويصلة الصفراء ، والمرارة ، واللوزتان ، والزائدة الدودية ، والطحال ، وإحدى كليتيه ، وإحدى رئتيه ، ولتران من الدم ، وخمسان من الكبد ، وجزء ضخم من المعدة ، ومتر ونصف من الأمعاء ، وفص امامى من المخ .

قال (جيمس) فى حيرة :

ـ ولماذا لم يضف ذراعا او ساقا ؟.. الواقع أننى لست أفهم ما ترمى إليه من سرد ذلك !!

أطلق (م) ضحكة طويلة ، وقال :

ـ لست أستهدف شيئا يا سير (جيمس) ، إنها مجرد قائمة طريفة لفتت انتباهى .. المهم أن رجلنا قد نجا بأعجوبة مما لاقاه من تعذيب ، وحاول أن تحتفظ بالسر ، فقد نويت إسناد مهمة بسيطة إليه بالفعل فى (جامايكا) ، واظنه سيقضى وقتا

طيبا هناك ، يستريح فيه من معاناته السابقة ، تحت شمس (جامايكا) الدافئة .. ما رأيك فى هذا ؟

اجابه (جيمس) فى حذر :

ـ لست احب التدخل فى عملك يا مستر (م) ، ولكن حتى الشجاعة لهـــا حدودها ، وانت تعامل رجالك كمـــا لو كانوا من الخارقين ، ولست أظنك ترغب فى رؤيتهم ينهـــارون فى اللحظة الأخيرة .. صحيح أن رجلك هذا من الطراز الفذ ، ويمكنك ان تحصل منه على المزيد ، حتى بوضعه الحـــالى ؟ ولكنك تذكر بالطبع ما قاله (موران) ، فى كتـــابه الطبى الجديد ، عن مدى احتمال الجسد البشرى للتعذيب ، ومدى شجاعته .

غمغم (م) :

ـ لا .. لست اذكر شيئا من هذا .

اجابه (جيمس) :

ـ إنه يقول إن الشجاعة هى رأس مال الرجل ، تستهلكها كثرة استخدامها ، ويبـــدو ان رجلك قـــد استنفد معظم شجاعته قبيل الحرب .. صحيح أنه ما يزال شجاعا صنديدا ، ولكن لكل شىء حدوده .

لم ير (جيمس) ابتسامة (م) الغامضة ، وهو يقول :

ـ لهذا السبب بالذات ارسله لقضاء إجازته فى (جامايكا) .. وبالمناسبة ، هل امكنك كشف طبيعة تلك المادة ، التى دستها له الجاسوسة السلافية ؟

اجاب سير (جيمس) :

ـ لقد فعلنا هذا أمس فقط ، وبعد ثلاثة اشهر من البحث المتواصل ، بفضل طالب طب موهوب ، امكنه كشف سر تلك المـــادة المخدرة السامة ، التى يستخدمها الجواسيس اليابانيون للانتحار ، والتى لجأت إليها تلك الدولة السلافية ، للقضاء على عملاء الدول الأخرى ، وهذا السم يشل المراكز العصبية فورا ، ويحمل الاسم العلمى (تترودوثوكسين) ، وهو سم زعاف ، يؤدى إلى ازدواج بصرى سريع ، ثم فقدان القدرة على الرؤية ، فالموت بسبب شلل تام فى الجهاز العصبى .

هتف (م) :

ـ إذن فقد نجا رجلنا من الموت باعجوبة .

ـ بل قل معجزة ، لقد كانت فرصة نجاته واحدا فى المليون ، لولا أن اسعفه زميله بهذه السرعة ،

وراح يبقيه بالتنفس الصناعى ، حتى وصل الطبيب .. وبالمناسبة ، ماذا اصاب تلك الجاسوسة السلافية ؟

— لقد ماتت ، ولا تخش على مريضك ، فسيكون موضع رعايتنا وعنايتنا .. إلى اللقاء .

لم يكد (م) ينهى المحادثة ، حتى تجهم وجهه ، وراح يفحص البرقيات والأوراق العاجلة فى ضجر ، ويوزعها على خانات خاصة بالمكتب ، حتى لم يتبق امامه سوى ملف كبير ، يحمل باللون الأحمر عبارة (سرى جدا) ، وباللون الأسود فى منتصفه (قسم البحر الكاريبى) ثم فى أسفله ، وبحروف صغيرة للغاية : (سترانجوايز) و (تروبلود) ، وفجأة سطع مصباح صغير امامه ، فضغط (م) زرا خاصا ، وقال :

— اهو رقم (٠٠٧) ؟

اجابته سكرتيرته :

— إنه هو يا سيدى .

قال فى اهتمام :

— دعيه يدخل على الفور ، واطلبى من خبير الأسلحة الحضور بعد خمس دقائق .

اعتدل فى مجلسه ، عندما دلف (جيمس بوند) إلى حجرته ، وهو يقول :

— صباح الخير يا سيدى .

— صباح الخير يا (٠٠٧) .. اجلس .

اتخذ (بوند) مقعدا وثيرا ، يواجه مستر (م) ، الذى بدا هادئا صامتا ، يتأمل (جيمس بوند) بنظرة فاحصة ، وينفث دخان غليونه الكثيف ، قبل ان يقول :

— كيف حالك الآن يا (بوند)

— بخير حال يا سيدى ، ومن حسن الحظ اننى هنا الآن ، لأجيب السؤال .

— ما رايك بشأن مهمتك الأخيرة ؟.. الديك معلومات جديدة ؟

— لا يا سيدى ، والواقع اننى الملوم بالنسبة لما اصابنى ؛ لاننى سمحت لتلك المراة بالتغلغل فى حياتى ، على عكس قواعد العمل المعمول بها فى مهنتنا .

— اعلم ان مسدسك قد تعطل ايضا يا (٠٠٧) .. قل لى : هل تحب ان تتخلى عن ذلك العمل الشاق ، وتعود إلى الخدمة العامة .

القى عليه (بوند) نظرة ساخطة ، فالرقم الذى يحمله ، مع صفرين إلى يساره ، رقم خاص ، يندر

ان يحوز مثله رجل مخابرات فى مثل عمره ؛ لذا فقد غمغم :

— لا يا سيدى .. لست احب العودة إلى الخدمة العامة .

— لابد أن تبدل مسدسك إذن .

— ولكننى اعتدت مسدسى يا سيدى ، وما اصابه يمكن ان يحدث لأى مسدس .

— لست أوافقك على هذا .. ثم إن هذا أمر .. المهم هو ما النوع الآخر الذى تفضله ؟

ودون أن ينتظر جوابا من (بوند) ، ضغط زر جهاز الاتصال ، يسال سكرتيرته :

— هل وصل خبير الأسلحة ؟.. دعيه يدخل على الفور .

وعاد يلتفت إلى (بوند) ، مستطردا :

— الماجور (بوثرويد) هو أعظم خبراء السلاح لدينا ، وستدهشك خبرته حقا .

لم يكد يتم حديثه حتى دلف إلى الحجرة رجل قصير ، القى التحية على مستر (م) فى احترام ، فقال الآخر بعد إجابة التحية :

— قل لى ايها الخبير : ما رأيك فى (البيريتا) عيار ٢٥ ؟

— إنه مسدس للسيدات يا سيدى .

ابتسم (م) وهو يلقى نظرة خبيثة على (بوند) ، وقال :

— عجبا ! .. ما الذى يدعوك إلى هذا القول ؟

— السلاح السهل الاستعمال إلى هذا الحد ، لا يصلح إلا للسيدات .

— وماذا لو اضيف إليه كاتم للصوت ؟

— سيبقى بنفس سهولته يا سيدى ، ثم إننى لا انصح باستخدام كواتم الصوت ، فهى ثقيلة ، وقد تعلق بجيبك ، وانت فى عجلة من امرك ، وعموما لست أحبذ استخدام (البيريتا ٢٥) ابدا .

التفت (م) إلى (بوند) ، وقال :

— هل من تعليق يا (٠٠٧) ؟

هز (بوند) كتفيه ، وقال فى عناد :

— بل اكثر من تعليق يا سيدى . لقد استخدمت هذا السلاح خمسة عشر عاما ، دون ان يصاب باى عطل ، أو ينحرف عن هدفه قط ، والمشكلة اننى قد اعتدت استخدام هذا النوع بالذات ، على

الرغم من استعمالى لعدة أسلحة أكبـر ، وما زلت افضل (البيريتا ٢٥) ، وإن كنت اوافق على كون كواتم الصوت ثقيلة ومزعجة ، ولكن المرء يضطر كثيرا لاستخدامها .

اجابه (م) فى صرامة :

— تغيير السلاح يحتاج إلى تمرين ، ولكن المرء لا يلبث ان يعتاد سلاحه الجديد .. ثم إن هذا قرار نهائى .. هيا .. قف ؛ ليلقى عليك خبير الأسلحة نظرة فاحصـة ، يحدد لك بعدها السـلاح الذى تستخدمه .

نهض (بوند) فى مواجهة القصير ، الذى دار حوله فى اهتمام ، وقال :

— دعنى أرى سلاحك وغمده .

ناوله (بوند) مسدسـه ، وجرابه الذى يعلق أسفل إبطه ، وفحصهما الخبير فحصا دقيقا ، قبل أن يقول لـ (م) :

— اظننى استطيع اختيار السـلاح المناسب له يا سيدى .

سأله (م) فى اهتمام :

— حسنا .. ماذا تقترح ؟



نهض (بوند) فى مواجهة القصير ، الذى دار حوله فى اهتمام ، وقال :

— دعنى أرى سلاحك وغمده ..

اجابه الخبير :

ـ بعد فحص ما يقرب من خمسة آلاف نوع من الأسلحة الصغيرة ، بدا لى ان افضلها هو السلاح المعروف باسم (ولثر ٧٫٦٥ مليمتر) ، ولقد صنع بعد السلاح اليابانى (م ـ ١٤) ، والروسى (توكاريف) .. وهو خفيف الزناد ، يناسب كتف رقم (٠٠٧) تماما ، ويزيد وزنه عن (البيريتا) قليلا ، ويمكنك الحصول على ذخيرته من اى مكان فى العالم .. إنه السلاح المثالى .

التفت (م) إلى (بوند) ، يساله :

ـ هل من ملاحظات ؟

اجابه (بوند) :

ـ إنه سلاح ممتاز يا سيدى .. ترى ما راى خبيرنا ، بالنسبة لحمله ؟

قال خبير الاسلحة :

ـ يمكنك تعليقه اسفل كتفك اليسرى مباشرة ، بحيث تستطيع انتزاعه فى جزء من الثانية ، عند الخطر المفاجىء ، وفى ثلاثة اخماس من الثانية ، يمكنك قتل رجل يقف على قيد سبعة امتار .

سأله (م) :

ـ الا يوجد سلاح اكبر قليلا ؟

ـ واحد فقط يا سيدى ، من طراز (سميث ووسون) ، عيار ٣٨ ، طوله ١٥ سم ، ويزن ما يقرب من ثلثمائة جرام ، ويتسع لخمس رصاصات فقط ، لابد ان نكون قد تجاوزت مرحلة الخطر تماما ، قبل ان تنفد هذه الرصاصات الخمس ؛ لأن تعبئته مرة اخرى تحتاج إلى وقت اطول مما ينبغى فى لحظات الخطر ، ولكنه لا يلتصق بالملابس ابدا ، و ...

ـ حسنا .. حسنا .. إننى افضل (سميث ووسون) هذا .. ارسل مسدسا من هذا النوع إلى (٠٠٧) ، وقم بتدريبه على استخدامه اليوم ، وشكرا لك يا ماجور .

غادر خبير الأسلحة الحجرة ، مخلفا صمتا رهيبا ، تقطعه تساقط حبات المطر على زجاج المكتب ، و (بوند) يسترجع ذكرياته مع مسدسه ، الذى لازمه طيلة خمسة عشر عاما ، انقذ حياته خلالها عشرات المرات ، وكان له نعم الصديق المخلص ، الذى يلازمه فى اوقات الشدة ، وراح يفكر فى كل من ارداهم هذا المسدس ، من رجال ونساء ، فى ظروف قاهرة ، حتى قطع (م) افكاره ، قائلا :

— معذرة يا (بوند) .. اعلم كم تحب سلاحك هذا ، وكم تربطك به من ذكريات ، ولكن حان وقت تقاعده ، وخذها منى قاعدة .. لا تقامر ابدا بسلاحك ، ولا تمنحه فرصة ثانية ، كما اننى لا استطيع المقامرة برجالى ، فى القسم ذى الصفرين ، وانت تدرك هذا .

— ادركه يا سيدى ، ولست اناقش الأمر ، ولكن يؤسفنى بالطبع ان ارى سلاحى يذهب .

— لن نطيل فى الحديث عنه إذن ، فلدى أمر اكثر اهمية .. مهمة فى (جامايكا) .. مجرد إجراءات عادية ، تكتب عنها بعض التقارير .. ستفيدك شمس الكاريبى كثيرا ، وستكون إجازة ممتعة .. هل يروق لك هذا النوع من العمل ؟

درس (بوند) الأمر فى ذهنه لحظة ، وقال :

— تبدو لى مهمة روتينية عادية يا سيدى ، ولكن لو ان هذه إرادتك فسوف ..

قاطعه (م) فى صرامة :

— نعم .. إنها إرادتى .

ولم يعد هناك مفر من قبول المهمة ..

* * *

٣ – چوليوس نو ..

انتشر الظلام والبرد خارج مبنى المخابرات البريطانية ، وضغط (م) زرا كهربيا ، اضيئت الحجرة بعده بضوء اصفر ، انعكس على المكتب المبطن بجلد احمر ، فبدا اشبه بقطعة من الجمر الملتهب ، وهو يناول (بوند) ملفا يحمل اسمى (سترانجوايز) و (تروبلود) ، وهو يقول :

— لقد ارسلت فى طلب رئيس المكتب ، فهو يعلم اكثر كل تفاصيل تلك القصة المثيرة العنيفة .

لم تمض إلا لحظات حتى حضر الكولونيل رئيس المكتب ، وصافح (بوند) فى حرارة ، لمعرفتهما السابقة ، ثم اشار إليه (م) بالجلوس ، وهو يقول :

— لقد اسندت قضية (سترانجوايز) إلى رقم (٠٠٧) ، وعلينا ان نمهد للأمر ، قبل تعيينه فى موضع الأول ، واريد ان يتسلم (٠٠٧) منصب رئيس قسم الكاريبى خلال اسبوع واحد .. والآن هيا ندرس القضية .. اظنك تعرف (سترانجوايز) يا رقم (٠٠٧) ، فلقد عملتما معا فى قضية الكنز ، منذ خمسة أعوام ، فماذا كان رايك فيه ؟

— كان رجلا عظيما يا سيدى ، من طراز رفيع ، وكنت اظنكم قد استبدلتم به غيره ، فخمس سنوات فى المناطق الحارة فترة طويلة للغاية .

— دعك من هـذا ، واخبرنى بانطباعاتك عن مساعدته (مارى تروبلود) .. هل تعرفتها ؟

— لا يا سيدى .

— ليس لدينا ما يدينها ، فهى جميلة ، وربما كان جمالها هو سبب هذه الجريمة ، قل لى ، هل كان (سترانجوايز) من ذلك النوع المغرم بالنساء ؟

بدا (بوند) شديد الحرص ، وهو يقول :

— من يدرى ؟.. ولكن ماذا اصابهما يا سيدى ؟

— هذا ما نبحث عنه .. لقد اختفى الاثنـان فجأة ، وبدون سابق إنذار ، منـذ ثلاثة اسابيع ، ودمرت النيران فيلا (سترانجوايز) ، ومحطـة الإرسال ، وكتب الشفرة كلها ، ولقد عثرنا وسط الأطلال الباقية على جواز سفر الفتاة ، ولكن هـذا لا يعنى شيئا ، فمن السهل ان يقوم (سترانجوايز) بتزوير جوازى سفر ، فهو رئيس مكتب الجوازات بالجزيرة ، وربما هرب مع الفتاة إلى امريكا الجنوبية مثلا .. وعلى اية حـال ، ما زال رجال الشرطة يفحصون قوائم جوازات السفر ، دون أن يسفر

هـذا عن شئ ، ولابد انهما فرا بعـد ان صبغت الفتـاة شعرها ، وابدل (سترانجوايز) هيئته ، فلا يمكنك الاعتماد على وسائل الأمن ، فى مطارات تلك الجزر .. اليس كذلك يا رئيس المكتب ؟

وافقه رئيس المكتب بإيماءة من راسه ، وقال :

— بلى ، ولكن ما الذى يعنيه ذلك الاتصـال الأخير ؟

ودون أن ينتظر جوابـا لسؤاله ، التفت إلى (بوند) ، مستطردا :

— لقـد بدأ اتصـالهما بنا فى تمـام السادسة والنصـف بتوقيت (جامايكا) كالمعتـاد ، ويؤكد خبراؤنا ان الفتاة هى التى بدأت الاتصال هـذه المرة ، ثم اختفت بغتـة ، وحاولنـا بعدها إعادة الاتصال مرات ومرات ، ولكن بدا من الواضح ان امرا غير طبيعى يحدث هناك ، دون أن نتلقى ردا على إشاراتنا الحمراء والزرقاء ، وعلى الفور طار رقـم (٢٥٨) من (واشنطن) إلى (جامايكا) ، ولكن البوليس كان قد سبقه إلى هناك ، واكد حاكم الجزيرة ان (سترانجوايز) كان يقع فى مشـاكل عاطفية ، من آن إلى آخر ، واستكان إلى ما استنتجه من هـذا ، دون أن يبذل مزيدا من التحريات ، فى

حين قضى رقم (٢٥٨) اسبوعا كاملا هناك ، دون أن يجد دليلا واحدا جديدا ، فكتب تقريره ، وعاد إلى (واشنطن) ، وبعدها لم تقدم الشرطة على جديد ، ويمكننا ان نتفق مع الحاكم فى استنتاجه ، ولكن انقطاع الإرسال المفاجىء يقلقنى ، فلست أجد رابطا بين فرار عاشقين ، وانقطاع الاتصال اللاسلكى على نحو مباغت ، اضف إلى هذا أن (سترانجوايز) بدا طبيعيا وللغاية ، وهو يغادر النادى فى موعده المعتاد ، طبقا لأقوال أصدقائه ، ثم إنه قد اختفى تاركا سيارته أمام النادى ، ولو أنه ينتوى الفرار بالفعل ، فلماذا لم يؤجل هذا حتى الصباح ؟ او حتى وقت متأخر من الليل ، بعد أن يؤدى اتصاله المعتاد ؟.. الواقع أن الأمر يبدو لى شديد التعقيد ، على نحو يثير الحيرة .

أجاب (م) فى صرامة :

— كل المحبين يقترفون أخطاء جسيمة ، تشف عن الغباء ، والجنون فى بعض الأحيان ، وإلا فهل لديك تعليلات أخرى ؟.. بالنسبة إلى لست أجد دافعا واحدا للفرار على هذا النحو ، باستثناء الدافع النسائى ، فقسم الكاريبى هذا محط أنظار الدول الأخرى ، إذ يسهل الاختفاء فيه ؛ لبعده عن

(لندن) ، ولم يقم (سترانجوايز) بأى عمل كبير ، منذ كان رقم (٠٠٧) هناك .

ثم التفت إلى (بوند) ، يسأله :

— ما رأيك بعد كل ما سمعته ؟

— صحيح أنه لا يوجد سبب منطقى لفرار (سترانجوايز) على هذا النحو ، ولكننى لا أجرؤ على اتهامه بالتورط فى مشكلة غرامية ، فالخدمة كانت دائما حياته كلها ، ولن يقدم على خيانتها ، مهما كانت الأسباب ، ولو أنه أراد الاعتزال ، لسألك أن ترسل من يحل محله ، ومن العسير أن أصدق فراره لأى سبب .

— شكرا يا رقم (٠٠٧) .. لقد دارت الأفكار نفسها فى رأسى أيضا ، فليس من المفضل أن يقفز المرء إلى النتائج ، دون أن يزن الاحتمالات كلها .. هل لديك رأى آخر إذن ؟

قال هذا وتراجع بمقعده منتظرا ، فقد كانت هذه القضية تقلقه ، وسط عشرات المشاكل الأخرى ؛ لذا فقد قرر إسناد المهمة إلى (بوند) ، لينطلق إلى (جامايكا) ، ويضع حدا للحيرة ، ولما لم يجد جوابا من (بوند) ، تمتم فى حزم :

— حسنا .

اجاب (بوند) فى حرص ، ما دام الحديث يدور حول صديقه (سترانجوايز) :

ـ ما آخـــر قضية عمل بهـــا (سترانجوايز) يا سيدى ؟.. هـــل اطلعكم على أمر ما ، أو كلفه القسم الثالث البحث عن شىء محدود فى الشهور الماضية .

هز (م) رأسه ، وقال :

ـ لا شىء مطلقا .

أسرع رئيس المكتب يضيف :

ـ باستثناء قضية الطيور .

تمتم (م) فى لا مبالاة :

ـ إنها قضية لا صلة لها بموضوعنا ، كلفتنا إياها حدائق الحيوان حسبما أذكر .

قال رئيس المكتب :

ـ لا يا ســـيدى .. بل جماعـــة (أودبون) الأمريكية ، التى تسعى لحماية الطيور النادرة من الانقراض ، ولقد وصلنا الطلب عن طريق سفيرنا فى (واشنطن) .

سأله (بوند) فى اهتمام :

ـ اذكر لى طرفا من أعمال جمعية (أودبون)

هـــذه يا سيدى ، وأخبرنى ما الذى طلبـــوه منـــا بالضبط ؟

أجابه الرجل :

ـ القصة كما نقلناها إلى (سترانجوايز) ، فى العشرين من يناير المـــاضى ، هى أنه هنـــاك طائر يعرف باسم (اللقلق الملعقى) ، ولدينا هنا صورة له ، وهو على هيئة طائر عريض المنقار ، يحفـــر الطين بمنقاره القبيح ، ولقد بدأ هـــذا الطائر فى الانقراض منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث لم يزد عدد الموجود منـــه على مائتى طائر ، معظمهـــا فى (فلوريدا) وحولها ، ثم أبلغ شخص ما عن وجود مستعمرة كاملة منه فى جزيرة تدعى (كراب كى) ، بين (جامايكا) و (كوبا) ، وتم العثور على الطيور بالفعل ، وتبين أن الجزيرة مهجورة منذ ما يزيد على الخمسين عاما ، فاستأجرت جماعة (أودبون) ركنا من الجزيرة ؛ لحماية هذه الطيور ، وعينت حارسين لحمايتها ، وأقنعت شركات الطيران بالامتنـــاع عن التحليق فوقها خشية انزعاج الطيـــور وفرارها ، فازدهرت المزرعة ، وبلغ عدد الطيور ما يربو على خمسة آلاف طائر ، ثم جاءت الحرب ، وارتفع ثمن الجزيرة ، واقتنع أحـــد الشبان الأذكيـــاء حكومة

(جامايكا) ببيعها ، واشتراها ببضعة آلاف من الجنيهات ، بشرط الا يعكر صفو الركن الذى استأجرته جمعية (أودبون) ، وكان هذا عام ١٩٤٣ ، وبعدها احضر الشاب عددا من العمال ، وراح يعمل فى الجزيرة بكل همة ونشاط .

ساله (بوند) :

— ومن هذا الشاب ؟

— رجل نصف المانى ونصف صينى ، يطلق على نفسه اسم دكتور (نو) ، واسمه الكامل هو (جوليوس نو) .

— الديك شىء عنه ؟

— إنه يحتفظ بكل شىء سرا ، ولم يره مخلوق واحد ، منذ اشترى الجزيرة ، وسارت الأمور على نحو هادىء ، لا يلفت انتباه احد ، حتى عيد الميلاد السابق ، عندما عاد احد حارسى ركن جمعية (أودبون) إلى ساحل (جامايكا) بقارب صغير ، وقد احترق معظم جسمه ، ومات بعد ان ذكر قصة عجيبة خرافية ، حول تنين هاجم المعسكر ، وامطره نيران من فمه ، وقتل زميله ، وحرق المعسكر ، وكل اعشاش الطيور النادرة ، وانه هو قد نجا من الموت بأعجوبة ، وراح يسبح بقارب صغير طيلة الليل ،

حتى بلغ الساحل .. ولقد تم إرسال تقرير بهذا إلى جمعية (أودبون) ، فرفضت الاقتناع بالقصة ، وارسلت اثنين من رجالها الاشداء ؛ للتحقيق فى الامر ، ولكن طائرة الرجلين سقطت فى اثناء هبوطها ، وتحطمت ، ولقيا مصرعهما ، واثار الأمر غضب وحفيظة محبى الطيور ، وامكنهم الحصول على إذن خاص بالاتصال بدكتور (نو) ، الذى استقبل مندوبهم بحفاوة بالغة ، وابعده عن منطقة عمله ، وصحبه إلى موضع سقوط الطائرة ، التى تحولت إلى فتات ، فاصطحب المندوب جثتى الرجلين عائدا إلى بلاده ، فى احتفال مهيب ، جعل المندوب يشيد لدى عودته بكرم دكتور (نو) وحفاوته ، واقتنع تماما بتفسير دكتور (نو) حول حادث المعسكر ، حيث استنتج (نو) أن احد الحارسين قد أصيب بجنون مفاجىء ، جعله يقتل زميله ، ويشعل النيران فى المعسكر ، واصابته النيران وهو يسعى للفرار ، واكثر ما جعل التفسير يبدو منطقيا تلك البقعة الرهيبة ، التى عاش فيها الحارسان قرابة عشرة اعوام ، ولكن تقرير المندوب تضمن انخفاض عدد الطيور إلى حد كبير ، ولم يكد هذا التقرير يبلغ

الجمعية ، حتى اتصل بنا مسئولوها وطلبوا منا تحرى الأمر ، فحولنا الموضوع برمته إلى (سترانجوايز) .. هذا هو كل شىء .

تطلع (م) إلى (بوند) ، وقال :

— أرأيت ؟.. إنها إحدى هوايات المتعطلين والمسنين ، الذين لا يتورعون عن الزج بالسياسيين وبنا فى المشاكل ، من أجل بعض الطيور النادرة والعجيبة ..

وصمت لحظة ثم أضاف :

— المشكلة أن الجزيرة ملك خاص ، وكل الجهات ترفض التدخل رسميا ، فما الذى يمكننا عمله ؟.. هل نرسل غواصة صغيرة إلى الجزيرة ، وأحد رجالنا المدربين ، للبحث عما أصاب بضعة طيور ؟!

قال (بوند) :

— هل يمكننى قراءة ملف الطيور هذا يا سيدى ؟.. إننى أشعر بالحيرة ؛ لأن أربعة رجال قد لقوا مصرعهم بسببها ، وربما نضيف إليهما (سترانجوايز) و (تروبلود) أيضا .. صحيح أن الفكرة قد تبدو سخيفة ولكن ..

قاطعه (م) فى ضجر :

— خذ .. ها هو ذا الملف ، فلدى يوم مثقل بالأعباء .

ثم أضاف فى صرامة ، عندما نهض (بوند) ملتقطا مسدسه الجديد :

— اترك هذا بدلا منه ، وستحصل بدلا منه على مسدسين جديدين ..

ولأول مرة فى حياته شعر (بوند) بالكراهية تجاه (م) ، وتساءل : لماذا يبدو هذا الرجل صارما عنيدا إلى هذا الحد ؟.. ولماذا يعاقبه لمجرد أنه قد عرض حياته للخطر فى مهمته الأخيرة ؟.. ألأنه تعرض لهذا بسبب استهتاره هذه المرة ؟.. أم ..

بتر أفكاره ، التى بدت له عديمة الجدوى ، وأعاد مسدسه إلى مكتب (م) ، قائلا :

— كما تأمر يا سيدى .

وانطلق ليبدأ مهمته ..

* * *

٤ ــ صحفية ..

حلقت طائرة ضخمة ، من طراز (سوبركونستليشن) ، فوق أراضى (كوبا) الخضراء ، فى طريقها إلى (جامايكا) ، وراح (بوند) يتطلع إلى الجزيرة التى تبدو فى الأفق ، وإلى البحر المحيط بها ، بألوانه المتباينة ، ما بين الأزرق الداكن والسماوى الهادىء ، ثم لم يلبث ــ مع اقتراب الطائرة ــ أن لمح المبانى الصغيرة ، والغابة الكثيفة على الجزيرة ، التى أطلق عليها هنود قبائل (.أراوك) القديمة اسم (أرض التلال والأنهار) ، وقد بدت له الجبال الزرقاء ، وأضواء شارع (كنجستون) تتألق من خلفها ، وذلك الميناء الكبير المجاور للمطار ، والطائرة تهبط على ممر الهبوط ، المجاور للأبنية البيضاء الصغيرة ..

وفى المطار ، تطلع ضابط الجوازات إلى صورة (بوند) ، وإلى خانة العمل ، التى كتب فيها (تاجر استيراد وتصدير) ، وسأل (بوند) :

ــ فى أية شركة تعمل ؟

ــ الشركة العالمية للصادرات .

ــ وهل أتيت للعمل أو لقضاء إجازتك ؟

ــ لقضاء إجازتى .

ــ أرجو لك إجازة سعيدة إذن يا سيدى .

تناول (بوند) جواز سفره ، واتجه نحو الحاجز الذى يفصل منطقة الجمارك عن المنطقة المدنية ، وهناك وقع بصره على رجل يرتدى نفس القميص الأزرق والسروال الكاكى ، اللذين رآه (بوند) يرتديهما منذ خمس سنوات ، فهتف :

ــ أوه .. (كواريل) .

ابتسم الرجل الفارع الطول ، ولوح بيده من خلف السور ، محييا (بوند) ، على طريقة الهنود الحمر :

ــ مرحبا يا كابتن .. كيف حالك ؟

أجابه (بوند) فى مرح :

ــ فى خير حال يا رجل .. سأنهى إجراءات الجمارك فى سرعة ، ثم ألحق بك ..

انتهت الإجراءات الجمركية فى سرعة ، وراح (بوند) يصافح (كواريل) ، وهو يقول :

ــ لم تتغير كثيرا يا صديقى .. كيف صار أمر صيد السلاحف ؟

— لا باس يا كابتن .. اخبـرنى .. هل كنت مريضا ؟

— هذا صحيح ، ولقد شفيت منـذ اسابيع ، ولكن كيف علمت هذا ؟

— معذرة يا كابتن ، ولكن وجهك يحمل آثار الم ، لم يكن هناك فى المرة السابقة .

— إنه امر بسيط يا (كواريل) ، وإن كنت احتاج إلى دوائك الخاص .

لم يكد يتم عبـارته حتى ظهرت بغتـة صحفية شابة ، التقطت لهما صـورة سريعـة ، قبل أن تتجه نحوهما ، قائلة :

— شكرا لكمـا .. انـا صحفية من جريدة (دايلى جليـنر) .. انت مسـتر (بوند) اليس كذلك ؟.. قل لى يا مستر (بوند) : كم ستمضى من الوقت هنا ؟

بدت تلك البـداية غير مبشرة بالخير ، بالنسبة لـ (بوند) ، ولكنه اجاب فى سرعة :

— إنها مجرد زيارة عابرة ، وانا واثق من انك ستجدين شخصيات هامة على متن الطائرة .

— إننى انشدك انت يا مستر (بوند) .. فى اى فندق ستقيم ؟

— فندق (ميرتل بنك) .

— شـكرا لك يا مستر (بوند) .. ارجو ان تطيب لك الإقامة هنا .

تركها (بوند) وزميله ، وغادرا المطار ، وقال (بوند) :

— هل رايت هذه الفتاة من قبل فى المطار ؟

هز (كواريل) راسه نفيا ، واجاب :

— لا اعتقد هذا ، ولكن لجريدة (ديلى جلينر) عدد هائل من المصورات الصحفيات .

توتر (بوند) بحق هذه المرة ، فلم يجد تفسيرا لتصويره بهذه السرعة ، وهو لم يطأ ارض (جامايكا) منذ خمس سنوات ، بالإضافة إلى أن اسمه قد محى تماما من سجلات عملية (العملاق الاسود) ، ولكن توتره تحول بغتة إلى الدهشة ، عندما وقع بصره على السيارة التى يقوده إليها (كواريل) ، وهتف :

— كيف حصلت على هذه السيارة ؟.. إنهـا سيارة (سترانجوايز) !!

اجابه (كواريل) فى بساطة :

— إنها السيارة الوحيدة غير المشغولة ، ولقد كلفونى استخدامها ، ولكن لمـاذا ادهشك هـذا كثيرا ؟

تمتم (بوند) :

ـ لا شيء .. لا شيء .

ودلف إلى المقعد الخلفي للسيارة ، وهو يفكر فى الأمر ..

خطأ بالغ أن يستخدم سيارة (سترانجوايز) ، التى ستثير اهتمـــام كل من يرغب فى معرفة سر عودته إلى (جامايكا) ، ولا ريب أنه هو المخطىء ، بتسرعه وتهوره كالمعتاد ، فهو الذى أرسل برقية إلي حاكم الجزيرة ، يطلب منه فيها تكليف (كواريل) بالذات انتظاره فى المطار ، مع سيارة ، ولقد فعل هذا لثقته فى (كواريل) ، وفى قدرته على معاونته فى قضية (سترانجوايز) ، سواء انتهت إلى فضيحة أو مغامرة .. ولقد طلب أيضا حجز حجرة فى فندق (بلومونتان) ، وهذا خطأ جديد لأى رجل مخابرات محنك .. كان ينبغى أن يستقل واحدة من سيارات الأجرة إلى الفندق ، ويتصل بـ (كواريل) من هناك .. من أى فندق على نحـــو عشـــوائى بحت .. لقد اقترف عدة أخطاء فى بداية مهمته ، وأصبح محط اهتمام عدوه منذ اللحظة الأولى ، ولا ينقصه سوى الإعلان عن قدومه على صفحات (ديلى جلينر) ..

فجأة راودته فكرة كونه مراقبا ..

أوهى غريزة المهنة ..

وفى حذر اختلس النظـــر عبر زجاج السيارة الخلفى ، فرأى سيارة تتبع سيارته ، على بعـــد خمسين مترا ، وقد أضاء قائدها المصابيح الصغيرة ، على عكس عادة سائقى (جامايكا) ، فاعتدل قائلا لـ (كواريل) فى حزم :

ـ فى نهاية الطريق مفترق ، يقود يساره إلى (كنجستون) ، ويمينه إلى (مورانت) ، انحرف فى طريق (مورانت) ، ثم توقف على جانب الطريق ، وأطفىء الأنوار .

انطلق (كواريل) بغتة بأقصى سرعة ، وانحرف يمينا عن المفترق ، وإطارات السيارة تطلق صريرا عاليا ، ثم انتحى بالسيارة جانبا ، وأطفأ أنوارها كلها ..

ومن خلفهما ظهرت السيارة الأخـــرى ، وقـــد انطلقت بأقصى سرعتها أيضا ، وانحرفت فى طريق (مورانت) بدورها ، ثم توقفت ، وتراجع قائدها إلى المفترق ، ثم عاد ينطلق فى طريق (كنجستون) ، ولاحظ (بوند) أنها سيارة أمريكية كبيرة ، لا يجلس بها سوى سائقها ، ولكنه لم يتبادل مع (كواريل)

حرفا واحدا ، طيلة الدقائق العشر التالية ، قبل ان يقول بغتة :

— هيا إلى طريق (كنجستون) يا (كواريل) .. لقد كانت هـذه السيارة تطاردنا ، وافتح عينيك جيدا ، فقد يكون سائقها قد انتبه إلى خدعتنا ، وينتظرنا على جانب الطريق ..

وفى اقل من ساعة ، كانت سيارتهما تختلط بالسيارات الأخرى فى (كنجستون) ، ثم تتجاوزها عبر طريق التلال إلى شارع (جانكشن) ، ثم إلى فندق (بلومونتان) ، وعلى جانب الطريق ، لمح (بوند) السيارة الأمريكية الكبيرة وهى تعود إلى (كنجستون) .

ولم يشعر بالارتياح ..

وفى الفندق ، كانت حجرته فاخرة ، تطل على الميناء ، وقد قضى بعض الوقت فى شرفتها ، قبل ان يبدل ثيابه ، ويصحب (كواريل) لتناول العشاء فى المدينة ..

ولقد قاده (كواريل) إلى فندق يعرفه فى المدينة ، حيث اختار لهما مديره منضدة فى موقع ممتاز ، تحت شجرة نخيل كبيرة ، تطل على الشاطىء ، وقال (كواريل) عن المدير :

— إنه يدعى (بوسفلر) ، وهو صديقى منذ زمن ، ويعلم كل ما يحدث هنا فى (كنجستون) ، ويمكنك ان تطرح عليه كل ما يملأ راسك من اسئلة .. لقد ابتعنا قاربا معا ، وذهب هو به إلى (كراب كى) ؛ ليصطاد الأسماك ، وسبح إلى حيث تكثر الصخور ، ولكن اخطبوطا كبيرا هاجمه ، واحتاج (بوسفلر) إلى قتال عنيف ، حتى امكنه اقتلاع احد اذرع الأخطبوط ، والفرار ، وبعدها اصابه رعب من البحر ، فاشتريت نصيبه فى القارب ، وعلى الرغم من ذلك فقد اثرى هو بعد زمن قصير ، وبقيت انا فقيرا كما ترى .

— وما هى (كراب كى) هذه ؟

— جزيرة مشئومة ، يملكها صينى لحراسة الطيور النادرة ، ولكنه يمنع اى مخلوق من الهبوط عليها ، ويحيطها بعدد كبير من الحراس ، والأسلحة النارية ، ورادار ، وطائرة .. ولقد هبط العديد من اصدقائى هناك ، ولكن احدهم لم يعد ليروى شيئا عن الجزيرة ، التى اصبحت تثير رعبى وخوفى .

اطلعه (بوند) خلال العشاء على جانب من قصة (سترانجوايز) ، وانصت إليه (كواريل) فى اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وقال :

— يلوح لى أن (سترانجوايز) وصاحبته قد دسا أنفهما فى شئون ذلك الصينى ، صاحب الجزيرة ، فتخلص منهما .

تطلع (بوند) إلى عينيه ، وهو يسأله :

— ولماذا تقولها وكأنك تؤكدها ؟

— ذلك الصينى يعشق جزيرته ، ويصر على عزلته ، وهو قوى صارم ، لم يتردد فى قتل أصدقائى كلهم ؛ ليبعد الآخرين ، ويمنعهم من تعكير صفو وحدته .

— لماذا ؟.

— للناس فيما يعشقون مذاهب ، و ...

قاطعه (بوند) بالتفاتة حادة مباغتة ، جعلته يواجه الصحفية الصينية ، التى التقطت له صورة المطار ، وهى تستعد لالتقاط صورة أخرى له ، وهو يتناول عشاءه ، فهتف بـ (كواريل) :

— إلى بهذه الفتاة .

هب (كواريل) من مقعده على الفور ، واتجه نحو الفتاة ، وألقى عليها التحية بابتسامة عريضة ، وهو يقول ، مادا كفه إليها ، وكأنه يود مصافحتها :

— مساء الخير يا آنسة .

لم تكد تضع يدها فى كفه ، حتى جذبها إليه فى عنف ، فهتفت :

— إنك تؤلمنى .

أجابها (كواريل) فى صرامة :

— الكابتن يرغب فى تناول كأس من الشراب معك .

قادها فى عنف إلى حيث يجلس (بوند) ، الذى قال فى هدوء :

— مساء الخير يا عزيزتى ، ما الذى تفعلينه هنا ؟ ولماذا ترغبين فى الحصول على صورة أخرى لى .

— لقد فسدت الصورة الأولى ، وأردت التقاط أخرى ليلية .

— إذن فأنت حقا صحفية فى (ديلى جلينر) .. ما اسمك ؟

— لن أخبرك .

لم تكد تنطق بالعبارة ، حتى لوى (كواريل) ذراعها خلف ظهرها فى عنف ، فتأوهت ، وأجابت :

— اسمى (آنابل شويك) .

قال (بوند) لـ (كواريل) :

— اطلب من (بوسفلر) المجىء .



لم تكد تنطق بالعبارة ، حتى لوى (كوادبل) ذراعها خلف ظهرها فى عنف ..

هرع مدير المطعم إلى (بوند) ، فسأله فى صرامة :

ــ أرأيت هذه الفتاة من قبل ؟

ــ إنها تأتى من حين لآخر يا سيدى .. أتحب أن أطردها ؟

ــ لا .. إنها تريد التقاط صورة لى .. اتصل بـ (ديلى جلينر) ، واسألهم .. هل لديهم صحفية باسم (أنابل شويك) .

ــ سأفعل يا سيدى .

التفت (بوند) إلى الفتاة ، وابتسم قائلا :

ــ لماذا لم تطلبى منه إنقاذك ؟

لم تجب الفتاة بحرف واحد ، فتابع :

ــ يؤسفنى استخدام القوة ، ولكن رئيسى فى الشركة العالمية للتصدير أخبرنى أن (كنجستون) تمتلىء بالشخصيات العجيبة ، وأنت تبدين لى أحد تلك الشخصيات ، وإننى أتساءل فى الواقع عن سر اهتمامك بالحصول على صورتى .

ــ إنها مهنتى ، كما سبق أن أخبرتك .

قبل أن يلقى عليها (بوند) سؤالا آخر ، ظهر (بوسفلر) ، وقال :

— لقد ايدت (ديلى جلينر) اقوالها يا سيدى ، فهم يؤكدون هناك ان (آنابل شوبك) تعمل لديهم كصحفية هاوية ، ويقولون إنهـا تلتقط صـورا ممتازة .

شكره (بوند) ، والتفت إلى الفتاة ، قائلا :

— حسنا .. هذا لا يفسر إصرارك على التقاط صورتى ، او لحساب من تلتقطينها .

— لن تحصل منى على حرف واحد .

— حسنا .. استمر فى لوى ذراعهـا فى عنف يا (كواريل) .

تأوهت الفتـاة مرة اخـرى ، فى حين تراجع (بوند) بمقعده ، وراح يفكر فى ان معرفة اسم من يسعى للحصول على صورته ستغنيه عن مشـقة كبيرة ، وستمنحه طرف خيط ؛ لكشـف سر قضية (سترانجوايز) ..

وفى اثناء تفكيره ، كان (كواريل) ، يزيد من ضغطه على ذراع الفتاة ، التى استجمعت قواها بغتة ، وبصقت على وجه (كواريل) ، الذى احتقن وجهه فى غضب ، ولوى ذراعها فى قسوة ، جعلتها تتصبب عرقا ، وتسب باللغة الصينية ، فقال (بوند) :

— هيا .. اعترفى وسنصبح صديقين ، وينتهى هذا العذاب ، و ..

فجاة هوت الفتاة بشىء ما فى يسراها على وجه (كواريل) ، ورأى (بوند) الدماء تنزف من جبهة هذا الاخير ، وبقايا مصباح التصوير يسقط من يد الفتاة ، وسمع (كواريل) يهتف فى غضب :

— إنها عنيدة ، ولن نحصل منها على شىء .. هل احطم يدها ؟

لوح (بوند) بكفه ، وقال :

— لا .. دعها وشأنها .

بدا له انه من الواضح ان من خلف الفتاة قساة غلاظ القلوب ، وإلا فما احتملت كل هـذا العذاب لتخفى سرهم ، وراح يتطلع إليها فى تساؤل ، عندما اطلق (كواريل) سراحها ، وهو يقول فى سخط :

— لقد شوهت وجهى ، فإليك هذا .

وحطم كأسـه ، ودفعه فى وجه الفتـاة ، التى اطلقت صرخة مكتومة ، وانطلقت تعـدو مبتعدة ، وهى تصرخ :

— لن تفلتا منه .. سـوف يقتلكما حتمـا .. حتمـا ..

ودوت العبارة فى رأس (بوند) .. دوت فى شدة ..

* * *

٥ ـ اختفــاء ..

لم يتوقف دوى العبارة فى راس (بوند) ، حتى وهو يجلس فى شرفة حجرته بالفندق ، يتطلع إلى الجبال الزرقـــاء ، والغابات التى تمتـــد ســبعة كيلومترات ، حتى (كنجســتون) ، وبـــدا له من الواضح أن (سترانجوايز) و (تروبلود) قد قتلا واخفيت جثتاهما ، وأن من قتلهمـــا يعلم الآن أن (بوند) هو الموفد من الحكومة للتحرى عن حقيقة امرهما ؛ لذا فهو يبذل اقصى جهده للحصـــول على صورة لـ (بوند) ، وعلى معـــرفة موقعه ، ولا ريب انه سيستتبع ذلك نوع من المراقبة الدقيقة ؛ للتأكد من أن (بوند) لن يتوصل إلى دليل ما ، او طرف خيط يقوده إلى حل اللغز ، ولا مانع من إبادته بحادث سيارة ، أو حتى بالاغتيال فى الطريق ، لو توصل إلى شىء ما ..

وتساءل : هل سينتقم العدو للفتـــاة ؟.. من الغباء حقا ان يتباطأ كثيرا ، فى مثل هذه الظروف ، ولو انه هو فى مكانه لتحرك فى سرعـــة ، وانتقم فى قسوة .. ولكن من يكون هذا العدو ؟ .. لا ريب أنه دكتور (نو) .. (جوليوس نو) .. الصينى الذى

يمتلك (كراب كىْ) ، والذى اثرى من تجارة الطيور النادرة ، على الرغم من ان سجلات المخابرات كلها تخلو من معلومة واحدة عنه ، على الرغم من ان اربعة رجال قد قتلـــوا بسبب جمعية (اودبون) هذه .. بل إن (كواريل) نفسه يخشى دكتور (نو) ، وجزيرته المنيعـــة الحصـــينة ، على الرغم من ان (كواريل) من فئة اعتـــادت مجـــابهة الخـــوف وهزيمته .. ثم ما سر هـــذه العزلة التامة لدكتور (نو) ؟.. ولماذا يتكبد كل هذه النفقات الباهظة ، لمنع الناس من بلوغ جزيرته ؟ على أية حـــال ، إنه سيلتقى بالحاكم فى تمام العاشرة صباحا ، ليحصل على بعض المعـــلومـــات عـــن (نـــو) ، وعـــن (كراب كى) ..

انتزعه من افكاره طرق خفيف على باب حجرته ، ولم يلبث (كواريل) ان دلف إليهـــا ، وانضم إلى (بوند) فى الشرفة ، وقال (بوند) :

ــ سأقضى اليوم كله مع الحاكم ، وفى معهـــد (جامايكا) ، ولن أحتاج إليك معى ، ولكن هناك اعمال اريد منك ان تقوم بها ، فيجب أن تتخلص من سيارة (سترانجوايز) ، وتستأجر واحدة جديدة لمدة شهر كامل ، ثم اذهب إلى الميناء ، وحاول أن

تعثر على رجلين يشبهاننا ، وابتع لهما ملابس كملابسنا ، واسألهما ان ينطلقا بسيارتنا إلى (مونتيجو) ، على الحدود الإسبانية ، ثم يودعان السيارة (جراج) (لايفى) هناك ، واتصل بـ (لايفى) ، واطلب منه أن يبقى السيارة حتى نذهب إليه .

— هذا يعنى انك تعد خطة ما .

— بالتاكيد .. امنح الرجلين عشرة جنيهات يوميا ، واخبرهما اننى ثرى امريكى، واننى ارغب فى أن يقود رجلان محترمان سيارتى ، وان يصلا بها إلى (لايفى) فى تمام السادسة صباحا ، ودعهما ينطلقان بسيارة (سترانجوايز) بعد رفع غطائها ، ثم احضر انت بالسيارة الأخرى .

— سمعا وطاعة .

— قل لى : الا يزال ذلك المنزل الصغير ، الذى استخدمناه فى زيارتى الأخيرة لصحراء ميناء (مورجان) قائما ؟

— لست أدرى يا كابتن !

— اذهب إذن إلى شركة (جراهام) ، وحاول أن تستأجره ، أو تستأجر اى منزل قريب ، باى ثمن ، واخبرهم اننى ثرى امريكى ، وسأتصل انا

باصحابه ، بعد أن تحصل على المفتاح .. خذ .. هذه مائتان من الجنيهات ، واتصل بى لو انك تريد مبلغا إضافيا .. إنك تعلم أين سأكون .

— هل من أوامر أخرى ؟

— لا .. ولكن حاول الا يتبعك احد ، والأفضل أن تترك السيارة ، وتتم هذه المهمات على قدميك ، وانتبه إلى كل صينى يحوم حولك ، وسنلتقى غدا فى السادسة والربع صباحا ، لنذهب إلى الشاطىء الشمالى ..

انطلق (كواريل) ليتم مهمته ، فى حين اتجه (بوند) إلى مكتب الحاكم ، حيث تركه المسئولون ينتظر لربع ساعة ، حتى لا يلفت انتباه احد ، ثم سمحوا له بدخول حجرة الحاكم ، الذى استقبله فى بساطة ، وابتدره قائلا :

— اجلس يا سيد (بوند) .. لماذا طلبت رؤيتى ؟

— بشأن قضية (سترانجوايز) يا سيدى .. واظنك قد تلقيت برقية وزارة الخارجية .

— نعم .. ولكن ما الذى يمكننى تقديمه إليك ؟.. لقد حفظنا القضية هنا .

— وما سبب حفظها يا سيدى ؟

— من المنطقى ان (سترانجوايز) قد فر مع الفتاة ، فبعض زملائك يميلون إلى ملاحقة النساء ، ولدينا هنا سجل بالفضائح الغرامية ، يندى له الجبين ، والأفضل ان ترسل لنا الحكومة رجالا افضل ، واقترح ان يحل احد رجال الشرطة محل (سترانجوايز) ، فانا اثق فى رجال شرطة الجزيرة كثيرا .

— سانقل رايك إلى مسئولى الحكومة يا سيدى ، وبخاصة إلى وزير الدفاع ووزير الخارجية ، فلست اشك لحظة فى كفاءة رجال الشرطة هنا .

— إنها مجرد ملاحظة يا مستر (بوند) ، وساتصل انا بوزير الخارجية ، عندما يستقر رأيى على امر ما .. والآن هل تحب مقابلة احد من رجالى ؟

— اريد التحدث مع سكرتير المستعمرات يا سيدى .

— لماذا ؟

— طلب منى رئيسى بحث أمر يتعلق ببعض المتاعب فى مستعمرة (كراب كى) للطيور النادرة .

— لا باس ، ساطلب من مستر (بليدل سميث) رؤيتك على الفور .

ثم نهض يصافح (بوند) ، مستطردا :

— إلى اللقاء يا مستر (بوند) .. يسرنى ان نتعاون معا ، وإن كنت لم ار (كراب كى) هذه حتى الآن .

تمتم (بوند) منهيا اللقاء :

— ولا انا يا سيدى .. ولا انا .

انهى (بوند) لقاءه مع الحاكم ، واتجه إلى مكتب (بليدل سميث) ، الذى لم يكد يراه حتى هتف :

— (بوند) ؟! .. اهو انت الذى شاركت فى مغامرة الكنز هنا ، منذ عدة سنوات ؟! .. يا إلهى .. لقد وقع الملف فى يدى منذ ايام .. هل اتيت لتشن حربا ثانية ؟!

— لا .. لقد اتيت من اجل قضية (سترانجوايز) ، ولكن اخبرنى : كيف وقع الملف فى يدك هذه الأيام ؟

— دعنى اتذكر .. آه .. لقد رايته على مكتب سكرتيرتى الجديدة .. كانت تبحث عن تاريخ معين فيه ، واسترعى الملف انتباهى .

— يبدو ان العديدين يهتمون بأمرى ، منذ بلغت (جامايكا) .. حسنا .. اخبرنى ما الذى تعرفه عن (كراب كى) ، وعن دكتور (نو) ؟

— الحديث عن هـــذا قد يستغرق ســـاعات ، ولكننى سأطلب ملف (كراب كى) ، فالطيور التى تحيا على تلك الجزيرة تتغذى على نوع خاص من أسماك الأنشـــوجة ، والطائر الواحـــد يســـتهلك ما يقرب من سبعين سمكة فى اليوم الواحد ، ومن المفارقات الطريفة ان سكان (بيرو) كلها يستهلكون أربعة آلاف طن من هذه الأسماك فى العام ، فى حين تستهلك طيور البحر خمسمائة الف طن منها ، وتلقى على الجزيرة كمية هائلة من مخلفاتها ، التى تحوى كميات من النترات .

— ولماذا لا تلقى الطيور ، مخلفاتها فى البحر ؟

— لست ادرى .. إننى اجهل ذلك حقا ، ولكن الطيور تلقى مخلفاتها علىالجزيرة منذ فجر التاريخ ، حتى بلغت كمية مخلفاتهـــا اطنانا واطنانا ، وعمل بعض المغامرين على نقل اطنان من هذه المخلفات ، بعد أن كشفت الأبحاث انها افضل سماد عضـــوى عرفه التاريخ ، واثرى العشرات من هذه التجارة ، على الرغم من حدوث عدة جرائم قتل مثيرة ..

— وما شأن هذا بـ (كراب كى) ؟

— كانت الجزيـــرة الوحيـــدة التى لم يصـــلها المغامرون بعد ، ولقد انتبهت (بيرو) إلى هذه الثروة

الطبيعية ، فبدأت فى تنظيمهـــا ، وحماية الجزر من عبث العابثين ، وفرض رقابة شديدة على الطيور ، وبدأت الكيماويات الألمانية تغزو العالم ، فانصرف المغامرون عن الأسمدة الطبيعية ، وانخفض سعرها بالتالى ، وهنا تقدم (نـــو) ، وابتاع منا الجزيرة ، واحضر عمالا كثيرين ، وهم يعملون ليلا ونهارا حتى الآن ، ولا ريب انه يمتلك الآن ثـروة هائلة ، فهو يشحن المـــادة مباشرة إلى (اوربا) مرة كل شهر ، ولقد فشـــلت تماما فى معـــرفة أى سر من اسرار الجزيرة ، فهى اشبه بقلعة حصينة ، يعمل فيهـــا العمال تحت ظروف وسلطة جائرين ، وعلى الرغم من ذلك فلا احد يشكو ، او يتظلم .

— كم يساوى المكان فى نظرك الآن ؟

— لو وضعنا الطيور النادرة والأسمدة الطبيعة فى الحساب ، فيمكن أن يقال أن ثروته تقدر بمليونين ونصف مليون من الجنيهات على الأقل ، و ..

بتر عبارته مع دخول سكرتيرته الجديدة ، فسألها فى حدة :

— أين الملفات التى طلبتها ؟

— معذرة يا سيدى .. لقد اختفت .

— ماذا ؟.. من حصل عليها آخر مرة .

— الكابتن (سترانجوايز) يا سيدى .

— ولكنه اعادها إلى هنـــا ، فما الذى حدث بعدها ؟

— الملفات موجودة يا سيدى ، ولكنها خالية .

عقد (بوند) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الفتاة ، فقد بات من الواضح أن كل المعلومات الخاصة به ، وبعملية (العملاق الأسود) قد تسربت عبر هـــذه الفتاة بالذات ..

ولم يكن هذا مجرد شك ..

كان هناك دليل قوى ، فالسكرتيرة الجديدة كانت مثل (أنابل شوبك) ودكتور (نو) ..

كانت صينية ..

* * *

٦ — حشرة قاتلة ..

تطـــرق الحديث بين (بوند) و (بليدل سميث) إلى موضوعات شتى ، حول مائدة الطعام فى نادى الملكة ، وتحدث (سميث) عن ميل مواطن (جامايكا) للتراخى والتكاسل ، على الرغم من ثراء موطنه ، وعن اليهود والبرتغاليين ، الذين نهبوا كنوز البلاد قديما ، وفروا بها إلى (اوربا) ، بعد أن سيطروا على الاقتصاد ، وخربوا الضمائر والذمم ، ثم انتقل الأمر إلى السوريين ، الذين كونوا ثروات ضخمة ، وسيطروا على المحـــال التجارية والفنادق لفتـــرة طويلة ، وجاء بعدهم الهنود ، واخيرا الصينيون ، الذين سيطروا على مقاليد الأمور بذكائهم ودهائهم ، وصاروا اقوى طائفة فى (جامايكا) كلها ، يمتلكون موارد الطعام والمغاســـل الضخمة ، ويصاهرون الزنوج ، مما أدى إلى ظهور نســـل صينى زنجى مولد ، وسأله (بوند) بعد ان استمع إلى كل هذا :

— وهل سكرتيرتك هى إحدى الزنوج الصينيين ؟

— نعم .. وهى فتاة لماحة ، تعتبر اكفأ موظفات المكتب ، على الرغم من أنها لم تتسلم عملها إلا منذ ستة شهور فحسب .

— ولكن هل للصبنيين من يرعى امورهم ؟..
اعنى هل لهم راس كبير ؟

— حتى الآن لا ، ولكن سيظهر حتما من يحتل هذا الدور .

وتناول رشفة من كاسه ، قبل ان يضيف :

— واظن ان (نو) هذا سيكون الزعيم المنتظر.

ارتشف رشفة اخرى ، ثم نهض قائلا :

— قلت إنك ستذهب إلى معهد (جامايكا) .. هيا إذن ، فسأقدمك لمديره ، المسئول عن خرائط الجزر الغربية .

لم تمض إلا ساعة واحدة ، حتى كان (بوند) يجلس أمام خريطة ضخمة لـ (كراب كى) ، وضعت عام ١٩١٠ ، وبدا فيها ان مساحة الجريرة لا تزيد على سبعين كيلومترا مربعا ، يتجه ثلاثة ارباعها نحو الشرق ، وسط مستنقعات وبحيرات ضحلة ، ينساب منها نهر يصب فى البحر ، عند خليج صغير فى الساحل الجنوبى ، اما من ناحية الغرب ، فالجزيرة ترتفع تدريجيا إلى خمسمائة قدم ، ثم تنحدر إلى شاطىء البحر ، دون ان يبدو على الخريطة كلها اثر لطريق أو منزل ، وكانت المياه تحيط بها من كل جانب ..

وبعد فترة كافية ، طوى (بوند) الخريطة ، وناولها للموظف المختص ، وراوده شعور بالتعب والإرهاق ، فعاد إلى فندقه ليستيقظ مبكرا ..
وسأل موظف الاستقبال عن ورود اية رسائل ، فأجابه الموظف :

— لم تصل سوى سلة من الفواكه ، مرسلة من الحاكم ، وهى فى حجرتك يا سيدى .

— ومن اتى بها ؟

— رجل من مكتب الحاكم .

اتجه (بوند) إلى حجرته ، واستل مسدسه ، وهو يدفع باب الحجرة بقدمه ، فوقع بصره داخلها على سلة الفاكهة ، وقد تعلق بها مظروف ابيض كتب فوقه :

— « مع تحيات الحاكم » ..

تطلع (بوند) إلى سلة الفاكهة لحظات ، ثم الصق اذنه بها فى حذر ، وانصت لنصف دقيقة ، ثم قلب محتويات السلة ، وتاكد من انها لا تحوى سوى الفاكهة ، فالتقط ثمرة خوخ ، والقاها فى حوض الاستحمام فى الحمام ، ثم عاد إلى الحجرة ، وفحص قفل الصوان فى حذر ، ثم فتحه ، وتناول حقيبته ، وراح يفحص آثار المسحوق الدقيق ، الذى

وضعه بين قفلى الحقيبة ، ورأى من الآثار الخفيفة فوق المسحوق محاولة لفتح القفلين ، ففتحها بأسلوبه الخاص ، وأخرج من الحقيبة عدة آلات دقيقة ، عاد بها إلى الحمام ، وتناول الخوخة ، وراح يفحص كل سنتيمتر منها فى دقة بالغة ، حتى وقع بصره على ثقب دقيق فى ركن منها ، فابتسم وهو يعيدها إلى الحوض ، ويتطلع فى صمت إلى المرآة ..

لقد بدأت الحرب إذن ، وصحت نظريته حول مقتل (سترانجوايز) و (تروبلود) ، لأنهما تدخلا فى شأن ما من شئون (نو) ..

وشعر بالامتنان للسكرتيرة التى أخفت المستند ، وللصحفية التى حاولت التقاط صورته ؛ فلقد قاده هذا إلى الحل ..

لقد أطلق (نو) الرصاصة الأولى ..

وحان دور (بوند) ..

وفى هدوء عاد (بوند) إلى حجرته ، وفحص كل حبات الفاكهة ، ووجد فى كل منها ثقبا دقيقا ، فاتصل بخادم الحجرات ، وطلب منه أن يحضر صندوقا وورقا وخيطا ، ثم طلب (بليدل سميث) وسأله :



اتجه (بوند) الى حجرته ، واستل مسدسه ، وهو يدفع باب الحجرة بقدمه ، فوقع بصره داخلها على سلة الفاكهة ..

ــ هل لديكم هنـــا فى (كنجـســتون) معمــل للتحاليل ؟.. عظيم .. لدى هنا صندوق صغير ، اريد تحليل محتوياته على الفور ، ودون ذكر اسمى ، وساشرح لك الأمر فيما بعد .. المهم ان تتصل بى فى فيلا (الصحراء الفاتنة) فى ميناء (مورجان) .

أرسل الطرد إلى السكرتير العام للمستعمرات ، بعــد المحادثة مبــاشرة ، ثم عــاد إلى حجرته فى السادسة ، ولم يكد يبلغها حتى ارتفع رنين الهاتف، فالتقط سماعته فى سرعة ، وسمع (كواريل) يقول إن كل شىء قــد تم إعداده بمنتهى الدقة ، وانهى (بوند) المحادثة ، دون أن يضيف شيئا ، وخرج إلى الشرفة يفكر فى عمق ..

هل يطلع الحاكم والسيد (م) على محاولة (نو) لقتله الليلة بوساطة الفاكهة المسمومة ؟..

القى هذا الخاطر جانبا فى سرعة ، واعاد حقيبته إلى الصوان ، واوصد باب الحجرة جيدا ، والقى جسده على الفراش ، ولم يلبث ان غرق فى سبات عميق ..

واستيقظ (بوند) بغتة فى الثالثة صباحا ، على نباح عدة كلاب ، لم تلبث ان صمتت ، وساد هدوء

عجيب فى المكان ، وراح ضوء القمر يلقى ظلالا ناعمة داخل الحجــرة ، وتســاءل (بوند) عن السر فى استيقاظه بغتة هكــذا ، على الرغم من ان نبــاح الكلاب امر معتاد فى هــذه الناحية ، وكاد يغادر فراشه ، و ..

وفجأة تجمــد فى مكانه ، وهو يحدق فى جســم يتحرك فوق جسده ، متجها إلى ذقنه ..

كانت حشرة من نوع ما ..

حشرة مقــززة ، يبلــغ طولهــا خمســة عشر سنتيمترا على الأقل ، وتتحرك على جلده فى بطء مثير ، وهو يتابعها مسترجعا كل معلوماته عنها ..

إنها حشرة ســامة قاتلة ، رآها يوما فى احــد المتاحف ، ولقــد بلغت ركبته ، فى طريقهــا إلى رأسه ..

وقرر (بوند) الا يتحرك ، او حتى يتنفس ، او يرتعد ، والحشرة تصعد من ساقه إلى وسطه ، ثم تجر أرجلها العديدة المشعرة فوق معدته ، وتواصل طريقها فى بطء حتى بلغت قلبه ، وخيل إليه انهــا ستضرب ضربتها هناك ، وتقتله على الفور ، إلا انها

لم تلبث أن واصلت طريقها ، حتى بلغت عنقه ..

وهناك توقفت قليلا ..

وبعد فترة بدت أشـبه بدهر كامل ، واصلت الحشرة اللعينة سيرها إلى ذقنه ، وراحت تدور حول فمه ، واتجهت نحو عينيه ..

واغلق (بوند) عينيه فى بطء ، فتوقفت الحشرة فوق جفنيه ، وجال بخاطره أن يضربها بيده بعيدا ، ولكن سيقانها الثابتة على وجهه جعلته يخشى أن تغرز مخالبها السامة فى جسده ، فتركها تواصـل طريقها ، حتى بلغت جبهته ، ثم توقفت عند شعره ، وازداد جسده تجمدا ..

لقد راحت الحشرة تمتص حبات العرق عند منبت شعره ، وهو يغذيها بمزيد من العرق ، من شدة خوفه وتوتره ..

وبدت له الثوانى دهورا ..

ثم تحركت الحشرة أخيرا ..

انتقلت إلى شعره ، ثم تجاوزته إلى الوسادة ..

وفى هـذه اللحظـة بالذات قفز (بوند) خارج الفراش كالقذيفـة ، ودفع الحشرة بالوسـادة أرضا ..

وسحقها بقدمه فى عنف ..

ووقف يلهث من فرط الانفعال ..

ها هـو ذا (نـو) ينتقل إلى الخط القتـالى الثانى ..

وها هى ذى المعركة تحتدم ..

* * *

٧ ـ الى الهدف ..

لم يكد (بوند) يلتقى بـ (كواريل) فى الصباح التالى ، حتى ابتدره قائلا :

ـ ما معلوماتك عن العناكب السامة هنا ؟

ـ توجد منها عدة انواع وحشية فى (جامايكا) ، يبلغ طول بعضها اثنى عشر سنتيمترا او يزيد ، وهى شديدة الفتك ، وتميل إلى الأخشاب الرطبة التالفة ، ولا تجول إلا ليلا ، ولكن لماذا تسال ؟ هل رايت إحداها ؟

ـ هل يمكن ان ارى إحداها فى منزل عصرى ؟

ـ لا .. إلا إذا وضعت بفعل فاعل ، فهذه الحشرات قذرة ، يمكنك ان تعثر عليها فى الأدغال وتحت الصخور ، ولكن مستحيل ان تجدها فى الأماكن النظيفة .

اكتفى (بوند) بهذا الحديث ، وانتقل إلى نقطة اخرى ، وهو يقول :

ـ هل رحل الرجلان فى سيارة (سترانجوايز) هذا الصباح ؟

ـ نعم .. وهما بشبهاننا إلى حد كبير ، ولقد بذلت جهدا خرافيا ؛ لاختيارهما من وسط المئات .

انطلق (بوند) بالسيارة طويلا فى صمت ، وقد اطلق لأفكاره العنان ، حتى قطع عليه (كواريل) حبل تفكيره ، وهو يسأله :

ـ معذرة يا كابتن ، ولكن ما خطوتنا التالية ؟ لقد اختلط على الأمر .

ـ لم تخطر ببالى فكرة محدودة يا (كواريل) .. كل ما فى الأمر هو اننى اوافقك على ان (سترانجوايز) و (تروبلود) قد قتلا ، وان قاتلهما هو دكتور (نو) الصينى ، الذى يمتلك (كراب كى) ، فلا ريب ان (سترانجوايز) قد اقتحم عزلته ، وعلم الكثير عن اسرار الرجل وطيوره ، و (نو) يكره من يقتحم عزلته ، كما يعلم الجميع ؛ ولهذا ارسلت الرجلين فى زينا وسيارتنا إلى (مونتيجو) ، فى حين سنختفى فى (الصحراء الفاتنة) عدة ايام .

ـ ثم ماذا ؟

ـ ينبغى ان تعمل اولا على تدريبى على مواجهة الأخطار البحرية ، كما فعلت فى المهمة السابقة ، وبعدها سنذهب معا لزيارة (كراب كى) .. سنحوم حولها ، ولن نقترب من حصن (نو) ، بل

سنتفقد معسكر الطيور وما أصابه ، ولو وجدنا ما يريب ، فسنتراجع ونعود مع كتيبة من الشرطة .

— الواقع أنه يبدو لى من الجنون أن تقتحم قلعة (نـو) أو جزيرته ، ولكن لا بأس ، شريطة أن تؤمن على حياتى أولا ، فلدى أسرة كبيرة هنا .

— أوافق يا (كواريل) ، وسنجعل قيمة التأمين كبيرة جدا .. والآن كيف يمكننا الذهاب إلى (كراب كى) ؟

— أفضل وسيلة هى قارب صغير ، يتسلل فى ليلة بلا قمر ، وبلا رياح .. المهم هو أين تفضل الرسو ؟

— على الساحل الشمالى ، بالقرب من مصب النهر ، وبعدها سنتبع النهر إلى البحيرة .

— وكم من الوقت سنمضيه هناك ؟ لتعد ما يكفينا من طعام .

— ثلاثة أيام .. وسنحمل معنا أسلحة بيضاء وبعض أسلحة الطوارىء .

لم يتبادل الاثنان كلمة إضافية ، حتى بلغا ميناء (ماريا) ، وعبرا مدينة صغيرة بالقرب من ميناء (مورجان) ، ثم تابعا سيرهما حتى ڤيلا (الصحراء الفاتنة) ..

كان المكان المحيط بالڤيلا هادئا ساكنا ، ذكر (بوند) بمغامرة سابقة ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وربع ، فانطلق (بوند) يسبح لمسافة نصف كيلومتر ، ثم ركض على الشاطىء لكيلومتر كامل ..

ومضت الأيام على هذه الوتيرة ، سباحة وركض ، حتى مضى الأسبوع الأول دون منغصات ، اللهم إلا من خبر فى (ديلى جلينر) ، وبرقية من (سميث) ..

قال الخبر إن سيارة (سترانجوايز) قد تعرضت لحادث قتل راكبيها ، وأن الشرطة تناشد السائح الأمريكى مستر (بوند) التقدم إليها فى أقرب فرصة ، أما برقية (سميث) فقد قالت :

— « كل ثمرة احتوت على كمية من السيانيد تكفى لقتل جواد » (سميث) .

واحرق (بوند) البرقية تماما ..

واستأجر (كواريل) قاربا ، راحا يبحران به لثلاثة أيام ، بقصد تجربته ، وقال (كواريل) فى حماس :

— بعد سبع ساعات من الإبحار ، سنخفى السارى ، ونجدف بالمجدافين ، حتى لا يكشف رادار الجزيرة أمرنا .

وبدات المغامرة ..

بدات فى ليلة مظلمة ، ساكنة الرياح ، تمنطق فيها (بوند) بمسدسه ، وحمل معه عشرين رصاصة إضافية ، وانطلق القارب يشق صفحة المياه ، فى صمت تام ..

وبعد تجديف عنيف لساعة كاملة ، تجاوز القارب منطقة الصخور إلى المياه العميقة ، ورفع (كواريل) شراعه ، فراحت الرياح تدفعه إلى الأمام رويدا رويدا ، تحت جنح الظلام ..

ورأى (بوند) من خلفهما أضواء الميناء ، والنجوم المتناثرة كمظلة فوقهما ، وادرك ان المسافة التى تفصلهما عن الجزيرة لا تتجاوز الكيلومترات الثلاثة الآن ..

واتجه (بوند) بالقارب نحو النجم القطبى ، الذى يتلألأ فى السماء ، وشعر بنشاط الأسماك ، التى تتقافز نشطة حول القارب ، وبدا له من المرعب ان تلك الأسماك هى اسماك الباراكودا والقرش ، وان انقلاب القارب نجاة سيعنى نهايته ونهاية (كواريل) ..

ومرت الساعات بطيئة مرهقة ، حتى استيقظ (كواريل) فى الرابعة صباحا ، وهو يقول :

ــ اشتم رائحة ارض يا كابتن .

راى (بوند) أمامه بالفعل جبلا عاليا ، يحجب ضوء النجوم ، وابدل مكانه بسرعة مع (كواريل) ، الذى أسرع ينزل الشراع ، حتى يعجز الرادار عن تمييزها ، وترك القارب يمرق وسط تيارات عنيفة ، احتاجت منهما إلى كفاح مرير ، حتى أمكنهما دخول النهر ، وبلغا شاطئا اسود الرمال ، تكون من حمم بركانية قديمة ، فأخفيا القارب وسط اشجار البامبو ، فى دغل قريب ، قبل ان ينبلج الفجر ..

وهنا بلغ منهما التعب مبلغه ..

وعلى الرغم من أن هذا يخالف كل قواعد الحكمة ، فقد استغرقا فى نوم عميق ..

على أرض العدو ..

* * *



كانت أمامه فتاة توليه ظهرها وهى تتمنطق بحزام يتدلى منه خنجر كبير ، الى يمينها ..

٨ – هنى ..

أشارت عقارب ساعة (بوند) إلى العاشرة صباحا ، عندما استيقظ من نومه ، ولاح له شبح يتحرك فوق الرمال ، على مقربة منه ، فرفع عينيه بحركة حادة ، وتطلع إليه من بين الأغصان ..

واضطرب قلبه فى قوة ..

كانت أمامه فتاة توليه ظهرها وهى تتمنطق بحزام يتدلى منه خنجر كبير ، إلى يمينها ، وقد بدت بشرتها البيضاء واضحة ، من خلال ثوب الاستحمام الذى ترتديه ، وقد ارتكنت بجسدها كله على ساقها اليمنى ، تفحص شيئا ما فى يدها بكل الاهتمام ؛ وصورتها تبدو أشبه بحورية من حوريات البحر ، بشعرها الأشقر الناعم الطويل المبتل ، الذى التصقت خصلاته بوجهها وكتفيها ..

وتساءل (بوند) : كيف وصلت تلك الحسناء إلى هنا ؟.. ولكن الجواب أتاه على هيئة قارب صغير ؛ وقع بصره عليه راسيا بين الصخور ، وآثار أقدام الفتاة تبدأ من عنده إلى حيث تقف ..

أتعيش هذه الفتاة هنا ؟ أم أنها قد أبحرت إلى الجزيرة ؟

أهوال الليلة السابقة توحى إليه بأنها لم تبحر إليها حتما ، ولكن كيف بلغتهـا ؟ وما الذى تفعله فيها ؟.

وفى ضجر ألقت الفتـاة ما بيدهـا من محار ، وراحت تطلق صفيرا خافتا ، وهى تغنى :

— (ماريون) .. (ماريون) .. أنتظرك كل ليلة على الرمال الناعمة يا (ماريون) ..

انتبهت فجأة إلى حفيف الأغصان خلفها ، فهتفت :

— من هناك ؟

نهض (بوند) واقفا ، ووضع يديه على جانبيه ؛ ليؤكد لها أنه غير مسلح ، وابتسم قائلا :

— أنا .. لا تخشى شيئا .. إننى مجرد عابر سبيل .

استلت الفتـاة خنجرها بحـركة حادة ، إلا أن (بوند) لم يبال بهذا ، وهو يتأمل حسنها الفتان ، قبل أن تسأله هى فى خشونة :

— من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

— أنا بريطانى عاشق للطيور .

— كم من الوقت راقبتنى ؟ وكيف وصلت إلى هنـا ؟

— عشر دقائق فحسب ، ولن أجيب عن السؤال الثانى إلا بعد أن تخبريننى من أنت ؟

— أنا هنا أجمع المحار .

— هل أتيت فى قارب مثلنا ؟

— نعم .

— أين قاربك إذن ؟

— ها هو ذا عند الصخور ، أين قاربك أنت ؟ وماذا تعنى بصيغة الجمع ؟

— لقد أتيت بصحبة صديق ، ولقد أخفينا قاربنا بعيدا .

— ولكننى لم ألمح أثر قارب على الرمال .

— إننا حذران إلى حد ما ، ولقد أخفينا آثـار قاربنا .. على عكسك .. أخبرينى : هل استخدمت شراعا لبلوغ الجزيرة ؟

— نعم .. إننى أفعل هذا دوما .

— سيعلمون أنك هنا إذن ، فلديهم رادار قوى .

— إنهم لم يلقوا القبض على بعد .

وانتزعت منظار الغوص ، وهى تضيف :

— ما اسمك ؟

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبها :

— (بوند) .. (جيمس بوند) .. ما اسمك انت ؟

— (رايدر) .

— (رايدر) ماذا ؟

— (هنيشيل رايدر) .. لمـــاذا تبتسم ؟

— لا شيء .. إنه اسم رائع مثلك .

— بعضهم يطلق على اسم (هنى) .

— إننى سعيد بلقائك يا (هنى) .

أشارت (هنى) إلى المحار الملقى حولها ، وقالت فى خشونة :

— اسمع .. إياك أن تلمس هذه المحارات قبل ان أختفى .

قالتها واسرعت نحو الصخور ..

وفى هدوء اقترب (بوند) من المحار ، والتقط واحدة ، فحصها ليجدها ما زالت حية ، ثم ألقاها فى لامبالاة ، وهو يتساءل ..

هل خاطرت الفتاة بنفسها حقا ، من اجل بضع محارات وقواقع بسيطة ؟!..

استرجع عبارتها .. « انهم لم يلقوا القبض على بعد » ، وتذكر الطريقة التى استلت بها خنجرها ،

فى تحفز قتالى غريزى ، ودارت فى ذهنه عشرات الأسئلة ..

من هى ؟.. من اين جاءت ؟.. واين تعيش ؟

تناهى إلى مسامعه وقع اقدامها فوق الرمال ، فالتفت ليجدها قد ارتدت ثوبا فضفاضا من القطن ، وفوقه نطاقهـــا ذو الخنجر الكبير ، وعلى كتفهـــا حقيبة من الكتان ، وانحنت تجمع المحار والقواقع وتلقى بها فى حقيبتها ، فسألها فى هدوء :

— اهى من الانواع النادرة ؟

جلست على الرمال ، وتطلعت إليه لحظـــات ، قبل ان تقول :

— اتعدنى بانك لن تخبـــر اى مخلـــوق بمـــا ساخبرك به ؟

— أعدك .

— نعم .. إنها نادرة جـدا ، فالواحدة منهـــا تساوى ثلاثة جنيهات فى (ميامى) ، وهـــذا النوع يسمى (الزهرة اليانعة) ، ولقد عثرت فى الصباح على ما كنت ابحث عنه ، فالانواع النادرة تكثر هنا ، وإن كان العثور عليها عسيرا ، حيث انها تختفى وسط الصخور العميقة ، ولكننى سأنبش وكرها كله اليوم .

— أعدك الا أسرق منك شيئا .

— وماذا عن الطيور التى تعشقها ؟

— إنها تشبه البجع الوردى ، ولها مناقير ملعقية الشكل .

— اه .. لقد رايت الالوف منها هنا ، ولكن اظنك لن تجد شيئا ، بعد ان اخافوها ، ورحلت كلها .

بدا انها قد اطمأنت إلى محدثها ، فجلس (بوند) على مقربة منها ، وهو يقول :

— حقا ؟!.. وماذا حدث ؟.. من أخاف الطيور حتى تهجر الجزيرة ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

— لست أدرى بالتحديد ، ولكن هنا رجل صينى يمقت الطيور مقتا شديدا ، ولديه تنين نارى ، يطارد الطيور ويخيفها ، ولقد تسبب هذا التنين فى مصرع حارسى الطيور حسبما اظن ..

كانت تتحدث فى بساطة ، وكأنما تشرح امرا عاديا ، وهى تتطلع بعيدا إلى البحر ، فسألها (بوند) :

— هل رايت هذا التنين ؟.. من اى نوع هو ؟

— نعم .. رايته .. كنت استكشف المكان بحثا عن انواع نادرة من المحار ، فاتجهت شمالا ، وبلغت معسكر الحراسة واعشاش الطيور ، ووجدتها مخربة محترقة ، ولما كان الليل قد تسلل إلى المكان ، فقد قررت قضاء ليلتى هناك ، والرحيل مع الفجر ، وفى منتصف الليل استيقظت بغتة ، ورايت التنين على مقربة منى ، وله عينان كبيرتان واسعتان ، تشتعل فيهما النيران ، وجناحان صغيران ، وذيل مدبب ، وله لون أسود ذهبى ، ولقد مر امامى بدوى رهيب ، وانا أختفى فوق شجرة قريبة ، ورايت الطيور تفر مذعورة ، وهو يحرق اعشاشها بنيران من بين فكيه ، وكان هذا ابشع ما رايته فى عمرى كله .

مالت إلى الخلف ، وتطلعت إلى (بوند) ، مستطردة :

— اراهن انك لا تصدقنى .

— لا وجود لشىء يسمى التنين ، فى عصرنا هذا يا (هنى) .. لقد رايت شيئا يشبهه ، وإننى لأتساءل عن كنه هذا الشىء .

— ولماذا تقطع بعدم وجود التنين فى العالم ؟.. إنها جزيرة منعزلة ، وربما تمكن التنين من العيش

فيها ، ومقاومة عوامل الانقراض .. ثم ما الذى تعلمه أنت عن مثل هذا الحيوان ؟.. لقد قضيت أنا حياتى وسط الحيوانات والزواحف وحدى .. هل رأيت مداعبات النمس ، أو رقص الأخطبـوط ؟.. هل تعرف طول لسان الطائر الطنان ؟.. هل دللت يوما ثعبانا ساما ، وربطت جرسا فى عنقه ، ليوقظك كل صباح ؟.. هل شاهدت عقربـا ينتحر بلسع نفسه بذيله السام ؟.. هل تعلم أن حاسة الشم عند الغراب تؤهله لشم رائحة سحلية نافقة ، من مسافة كيلومترين ؟.. أراهن أنك لا تعلم شيئا عن هذا .. إنما أنت مدنى مدلل كالآخرين .

ـ صحيح أنك تعلمين الكثير عن الأدغال والحيوانات يا (هنى) ، وصحيح أننى لم أحى حياة الغابة مثلك ، ولكننى أعلم الكثير ممـا لا تعلمينه أنت .. أعلم مثلا أن ذلك الصينى ، الذى يكره الطيور ، لن يسمح لك بمغادرة الجزيرة هذه المرة .

ـ لمـاذا ؟.. إنه لم يفعل هذا من قبل !!

ـ لأننى أنا المقصود هذه المرة .. لقد أنزلنـا شراع قاربنا على مسافة ثلاثة كيلومترات من هنا ، حتى لا يكشف الرادار أمرنا ، ولقـد كان الصينى ينتظر قدومنا ، ولا ريب أن الرادار قد كشف شراع

زورقك ، وسيتصور أنه زورقنـا نحن ، وهـذا يستدعى أن أوقظ زميلى .. إنه رجل ظـريف من جزر (كايمان) ، ويدعى (كواريل) .

ـ يبدو أننى سأتسبب لكمـا فى مشـكلة ، ولكن ..

قاطعها (بوند) :

ـ إنه مجرد سوء حظ لكلينا ، فأنا واثق من أنهم قد فحصوا آثار أقدامك من قبل ، وأدركوا أنك إنما تبحثين عن المحار ؛ ولهذا لم يبالوا بك ، أما بالنسبة لى فالأمر يختلف .. سيسعى هذا الصينى لاقتناصى بأى ثمن ، وأخشى أن تدفعى أنت ثمرة هـذا .. على أية حال ، هذا يستلزم استشارة زميلى .. انتظرى هنا .

اختفى داخـل الدغـل ، وبحث فى همـة عن (كواريل) ، الذى أخفى نفسه بين الأغصان تماما ، وابتسم وهو يوقظه ، وفرك (كواريل) عينيـه ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا كابتن .. لقد زارت الفتـاة الصينية أحلامى .

ـ لدينا هنا فتاة من نوع آخر .

قص عليه كل ما حدث ، واخبره بضرورة تغيير الخطة ، فغمغم (كواريل) :

ـ اتعنى أن نستخدم الفتـاة طعمـا لاصطياد (نـو) ، و ..

بتر عبارته بغتة ، ومد رقبته إلى الأمام ، وبدا اشبه بكلب صيد متحفز ، قبل أن يقول فى انفعال :

ـ هيا .. بسرعة .

سأله (بوند) :

ـ ماذا هناك ؟

اشار (كواريل) إلى الشرق ، وهتف فى خوف واضح :

ـ إنهم فى الطريق إلينـا .. لقـد بدأت عملية الصيد ..

وكان على حق ..

* * *

٩ ـ المطاردة ..

عشر دقـائق فقط ، اختلفت بعدهـا المنطقة تماما ..

اختفت كومة القواقع والمحار النادرة ، وكذلك آثار الأقدام ، وبدا الخليج سـاكنا هادئا ، تضرب الأمواج شـاطئه فى هدوء ورتابة ، بعد أن قطع (كواريل) بضعة اغصان من (مانجروف) ، وهو نبات يكثر فى الأدغال المتاخمة للشواطىء ، ومسح به رمال الشـاطىء فى حذر ، وهـو يتراجع إلى الخلف ، بعد أن أخفى قارب (هنى) جيدا ، بين الأعشاب البحرية ، وقطع الأخشاب القديمة ، التى تلقيها الأمواج على الشاطىء ..

ومع تراجعه بلغ (كواريل) لسانا بحريا صغيرا ، حيث جلس (بوند) و (هنىّ) ، والتـزم الثـلاثة بالصـمت المطبق ، وهم يخفـون ويخفضون حتى أنفاسهم .

ولقد عثر رجال (نو) على القـارب الـكبير الفاخر ، ولكنهم لا يعلمون بعـد كم عدد راكبيه ؛ لذا فهم يبحثون عنهم بكل همة وحزم ..



بدت فى عبارتها وملامحها الهادئة ، وكأنما لا يشغلها أمر المطاردة أبدا فاكتفى (بوند) بالتربيت على كتفها ..

ولأول مرة رأى (بوند) الطيور الملعقية ، وقد انطلقت من الشرق فى سرب كبير ، مغادرة ما تبقى من مستعمراتها ، وباحثة عن غذائها من الأسماك الفضية ، التى تسبح عادة على مقربة من سطح الماء ، وراحت الطيور تنقض على الأسماك فى هجمات متتالية سريعة ، جعلت (هنى) تهمس فى أذن (بوند) :

– طيور الصينى تلتهم إفطارها .

بدت فى عبارتها وملامحها الهادئة ، وكأنما لا يشغلها أمر المطاردة أبدا ، فاكتفى (بوند) بالتربيت على كتفها ، فى نفس اللحظة التى تناهى إلى مسامعه فيها صوت محرك زورق بخارى ، ولم يكد يدير عينيه إلى اللسان ، حتى وقع بصره على الزورق المزود بصارية لاسلكى ، وهو يقترب من الأغصان التى يختفى مع زميله والفتاة خلفها ..

وكان على الزورق ثلاثة رجال ، يجلس أحدهم خلف عجلة قيادته ، فى حين يحمل الثانى جهازا أسود اللون ، يتصل بسلك رفيع ، ويرفع الثالث مدفعه الرشاش فى تحفز ..

وكان الثلاثة من الصينيين ..

وراح الاول يفحص الشاطىء بمنظاره المقرب فى اهتمام ، وسمعه (بوند) يلقى ملاحظات قصيرة سريعة ، و (بوند) يراقب اتجاه عينيه فى حذر ، ورأى الرجل يدير منظاره فى الرمال ، ثم ينقله إلى الصخور ، ويتفحصها فى إمعان ، ثم يسلم المنظار لزميله ، الذى تفحصها بدوره ، ثم اعادها إليه ، فاصدر الأول أوامره بالتوقف على الفور ، والقى المرساة ، فتوقف القارب أمام مخبأ (بوند) و (هنى) تماما ..

وتطلع السائق بمنظاره مرة اخرى إلى حيث اختفى زورق (هنى) بين الصخور ، وهز راسه علامة التاكيد ، وقال (بوند) لنفسه سرا :

— لقد وقعنا فى المصيدة حتما ، فمن الواضح ان هؤلاء الرجال يجيدون عملهم كثيرا .

انتبه على صوت المدفع الرشاش يعد للإطلاق ، وأزيز يرتفع من جهاز الرجل الثانى ، قبل ان يرفع الجهاز إلى فمه ، ويقول فى حزم ، وبلهجة أمريكية رصينة :

— حسنا ايها السادة .. اخرجوا من اماكنكم ، ولن يصيبكم ضرر .. هيا .. اسرعوا .. لقد

كشفنا امركم ، وعثرنا على القارب وسط الصخور .. واخرجوا وايديكم مرفوعة فوق رءوسكم ، ولن يصيبكم ضرر .

لم يجب (بوند) بحرف واحد ، وبدا الصمت مطبقا ، لولا هدير الأمواج ، وهمس (بوند) فى اذن (هنى) :

— اقتربى منى ، واحفرى بقدر ما تستطيعين .

ارتفع صوت الرجل مرة اخرى :

— هل تصرون على الانكار ؟.. حسنا .. سنثبت لكم انكم مخطئون .

انطلق إثر كلماته سيل من الرصاصات نحو اعواد البوص ، وسمع (بوند) ورفيقته ازيز الرصاصات فوق راسيهما ، وانطلقت اسراب الطيور فى ذعر ، وارتفع صوت الرجل مرة ثالثة :

— لقد انذرناكم .. انتم الملومون .

وانهمرت الرصاصات كالمطر ، من ناحية القارب المختفى ، ومتجهة إلى مخبإ (بوند) ، الذى همس فى توتر :

— انبطحى ارضا .

اختفى الاثنان داخل حفرة صغيرة ، حفراها باظفارهما ، وارتعدت (هنى) فى رعب حقيقى ، والرصاصات تفتتت الصخور ، وتخترق الرمال ، وتحفر طريقها نحوهما ، وتطايرت اعواد البوص وكانما يحصدها منجل آلى ، ودوت الرصاصات فى شراسة فوق الرءوس ، وتسللت رائحة رطبة ، إلى انف (بوند) ، وخيل إليه ان اعواد البوص كلها قد تطايرت ، وانه و (هنى) قد اصبحا فى العراء ، قبل أن يتوقف انهمار الرصاصات ، ويغرق الشاطىء فى صمت رهيب ، اخترقه صوت الرجل وهو يقول :

— لا باس .. سنعود لجمع اشلائكم ، لو تبقى منكم شىء .. وسنحضر معنا الكلاب المتوحشة هذه المرة .

دار محرك الزورق مرة اخرى ، وانطلق مبتعدا نحو الغرب ، ورفع (بوند) راسه فى حذر ، يتابع ابتعاد الزورق ، والتفت إلى (هنى) ، فرأى وجهها مبللا بالدموع ، وسمعها تقول :

— لماذا فعلوا بنا هذا ؟.. لقد اصابنى رعب هائل .. كادوا يقتلوننا .

ادهشه كل ذلك الرعب الذى يملأ نفسها ، فلقد بدت له شديدة الإلمام بعالم الحيوان ، قادرة على

الذود عن نفسها ضد ملمات الطبيعة ، ولكنها خالية الذهن تماما من الصراعات التى تدور بين البشر بعضهم البعض ..

وفى حنان غمغم :

— سيمر كل شىء على خير .. إنهم مجرد طغمة من الاشرار ارهبهم وجودنا ، ويمكننا مواجهتهم بشىء من الحنكة والتكنيك .. هيا نبحث عن (كواريل) ، ونرسم خطة الفرار .

نهضا يسيران فى بطء ، وبدا لهما (كواريل) يقترب ، ولاح لهم قارب (هنى) ، وقد حولته الرصاصات إلى فتات ، فصرخت الفتاة ملتاعة ، وهدأ (كواريل) من روعها ، وافهمها ان زورقهما هو و (بوند) ما يزال سليما ، مختفيا فى منطقة آمنة ، ثم التفت إلى (بوند) ، قائلا :

— سوف يطلق هؤلاء الاوغاد كلابهم فى اثرنا بعد قليل .. إنها تزيد على العشرين ، وكلها قوية مدربة ، والأفضل ان نبدأ الفرار الآن .

اجابه (بوند) فى حزم :

— ليس قبل أن افحص الجزيرة يا (كواريل) .. وسنصحب (هنى) معنا .

تطلعت إليه (هنى) فى خوف ، وقالت :

ــ كم من الوقت ستستغرق لفحص المكان ؟

ــ سأحتاج إلى بعض الوقت ؛ لمعرفة ماذا أصاب أعشاش الطيور ومستعمرتها ، وبعدها سنغادر الجزيرة .. إنها الثانية عشرة الآن .. انتظرى هنا ، ولا تنصرف قبل عودتنا .

احتاج هو و (كواريل) إلى ساعة كاملة ؛ لاستخراج القارب من مخبئه ، وملئوه بالحصى ، حتى يختفى تماما بين الأعشاب ، ومحوا آثار أقدامهما ، وأكل الثلاثة بعض الثمار البرية ، ثم اتخذوا طريقهم نحو مصب النهر ، حتى بلغوا بحيرة كبيرة ، وعبروها سباحة ، والأسماك الفضية تتقافز حولهم على نحو مثير ، حتى بلغوا لسانا ضيقا ، اتسع بعده مجرى النهر ، وبدا الطمى فى أعماقه غرويا لزجا ، واحتشدت حولهم أسراب الباعوض تنهش أجسادهم ، والتيار يجرفهم نحو منعطف فى النهر ، فهتف (بوند) :

ــ عليكما بالحذر الآن ، وإلا كشفوا أمرنا .. سنسبح لكيلومتر واحد ، وبعدها سنبلغ البحيرة ، حيث تحيا الطيور ..

وعند حقل من البوص المائى ، توقفت القافلة الصغيرة ، ورأى الثلاثة الجبل القريب ، وقد تبعثرت حوله بضعة أكواخ ، وحلقت على قمته أسراب الطيور ..

كانت هذه مملكة دكتور (نو) ، التى لم ير (بوند) مثيلا لها من قبل ، وبدا له طريق يتجه من الجبل إلى البحيرة ، وتسللت إلى أنفه رائحة الطيور ، وأيقظه صوت (كواريل) ، وهو يقول :

ــ لقد جاءوا .

رأى (بوند) سيارة تهبط الجبل ، وخلفها عاصفة من الغبار ، وراح يراقبها لعدة دقائق ، حتى اختفت خلف أعواد البوص الممتدة إلى البحيرة ، وبدا نباح الكلاب قادما من بعيد ، وقال (كواريل) :

ــ إنهم يتجهون نحو مصب النهر ، فهم يعلمون أن النهر هو مهربنا الوحيد ، وقد يأتون بالكلاب فى زورق كبير .

قالت (هنى) :

ــ هكذا يفعلون ، عندما يبحثون عنى .. فقط اقتطع عودا من البامبو ، وأغوص فى الماء عند اقترابهم ، وأغوص فى الماء معتمدة عليه فى التنفس .

ابتسم (بوند) ، وقال لـ (كواريل) :

ـ ابحث أنت عن أعواد البامبو ، وسنبحث نحن عن مخبأ .

تبعته الفتاة إلى نفق عشبى ، وقال فى لهجة آمرة ، وهو يعبر فتحة داخله :

ـ لا تحطمى هذه الأغصان .

عبرت الفتحة خلفه ، وهتفت :

ـ إنه مخبأ رائع .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

وتحسس مسدسه المبتل ، وهو يتساءل : هل يمكنه اصطياد بعض الرجال والكلاب به ، لو عثروا على المخبأ ؟.. وراوده شعور بالخوف والرهبة ، وسمع صفير (كواريل) ، فأشار إليه أن يتقدم نحو المخبأ ، فاتجه إليه (كواريل) حاملا عدة أعواد من البامبو ، وجلس الثلاثة داخل المخبأ فى صمت ، والشمس تنحدر نحو المغيب فى بطء ، والصمت يسود المكان ، إلا من نباح الكلاب ..

ورائحة الخطر ..

***

١٠ ـ الأطلال ..

هبط فريق المطاردة نحو النهر ، يتقدمه رجلان صينيان ، تجرى أمامها الكلاب الضخمة ، والأول يفرق الطيور أمامه بسوط رفيع ، فى حين يصرخ الثانى :

ـ أراهنك أنهم يختبئون بين الأعشاب .

جذب كل منهما إبرة مسدسه ، واتجها نحو الفتحة التى اختفى داخلها (بوند) ورفيقاه ، وأمسك أحدهما برقبه أحد الكلاب ، ودفع رأسه داخل الفتحة ، وراح الكلب يشم الأعشاب ، ويتقدم داخل الفتحة ، دون أن يفعل ما هو أكثر من ذلك ، إلا أنه قاوم فى شدة ، عندما أراد الرجل إبعاده عن الفتحة ، وهوى الرجل عليه بالسوط ، وأجبره على الابتعاد ، وخفتت أصوات الكلاب تدريجيا ، ولم تكد تتلاشى حتى ظهرت أعواد البامبو الثلاثة على السطح ، وتبعها ظهور (بوند) ورفيقيه ، والأول يمسك مسدسه فى تحفز ..

وفجأة ندت حركة ما تحت الماء ، ووضع (بوند) سبابته على شفتيه محذرا ، ولكن (كواريل) أطلق

سعالا خافتا ، فرمقه (بوند) بنظرة صارمة ، وهو يشير إلى تلك الحركة الغامضـة ، وعاد الثلاثة يغوصون إلى العمق ، وارتفعت من افواههم اعواد البامبو ..

وفى العمق اسند (بوند) رأسـه إلى الطين ، وراح يفكر ..

يبدو ان احد كلاب المطاردة يسبح نحوهم الآن ، وفرصة النجاة تتضاءل مع مرور الوقت ، و ..

وفجأة ضغط حذاء من الجلد على ذقنه ، ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

وبحركة مباغتة عنيفة ، دفع (بوند) عود البامبو بعيدا ، وبرز فوق سطح البحيرة ، ورأى امامه رجلا ضخما ، وهوت على ذراعه ضربة قوية ، فالصق مسدسه بصدر الرجل الجاثم فوقه ، وضـغط الزناد ..

ودوى الانفجار المكتوم ، وهوى الرجل كشجرة سقطت من علو شاهق ، ولاحظ (بوند) انه صينى ، واستدار فراى (كواريل) و (هنى) خلفه ، وقد بلغ ذعر الأخيرة مبلغه ، فغمغم :

— معذرة يا (هنى) ، كان هذا حتميا .

انطلقت القافلة الصغيرة مرة اخرى نحو الطريق الذى اتت منه ، وادرك (بوند) ، بعد تلف ساعته بفعل المياه ، ان السـاعة قد اقتربت من الرابعة حتما ، وشعر بتعب وإرهاق شديدين ، و ..

وفجأة انفجرت (هنى) صارخة :

— اظن انه قد حان الوقت لتخبرنى بكل شىء .. لمـاذا يحدث كل هذا ؟ .. لمـاذا يسعى كل مخلوق لقتل الآخر ؟.. لست أصدق قصتك عن الطيور .. إنها لاتتناسب مع مسدسك .

تنهد وقال :

— معذرة يا (هنى) .. لقد تورطت فى امـر لا يعنيك ، ومن سـوء حظك ان دفعك القـدر فى طريقنا .. إننى احارب هؤلاء القوم ، الذين يسعون القضاء على ، وساقص عليك كل شىء عند عودتنا إلى المعسكر ليلا .

— ماذا تعنى ؟.. انت رجل شرطة ؟.. هل تسعى لإلقـاء القبض على ذلك الصينى ، مالك الجزيرة ؟

— تقريبا .. اخبرنى اولا .. كم تبقى لوصولنا إلى المعسكر ؟

ـ حوالى الساعة .

ـ اظنه مكان مثالى للاختباء .. اليس كذلك ؟

ـ بلى .. إنهم يحتاجون إلى الدوران حول البحيرة كلها ، ليصلوا إلى المعسكر ، ويمكننا ان ننجو إلا إذا ..

ـ إلا إذا ماذا ؟

ـ إلا إذا ارسلوا التنين خلفنا .. إنه يستطيع السباحة بسرعة خرافية .. لقد رايت هذا بنفسى .

ـ دعينا من التنين .. إنه لا يقلقنى بقدر ما يقلقنى وجود هؤلاء الأبالسة المسلحين .

ـ من السهل ان تقول هذا ، قبل ان تراه .

قطع حديثهما ظهور (كواريل) من خلف بعض الأغصان ، وهو يقول :

ـ لقد عثرت على مسدس كبير ، لا ريب انه قد سقط من احد حراس مستعمرة الطيور .

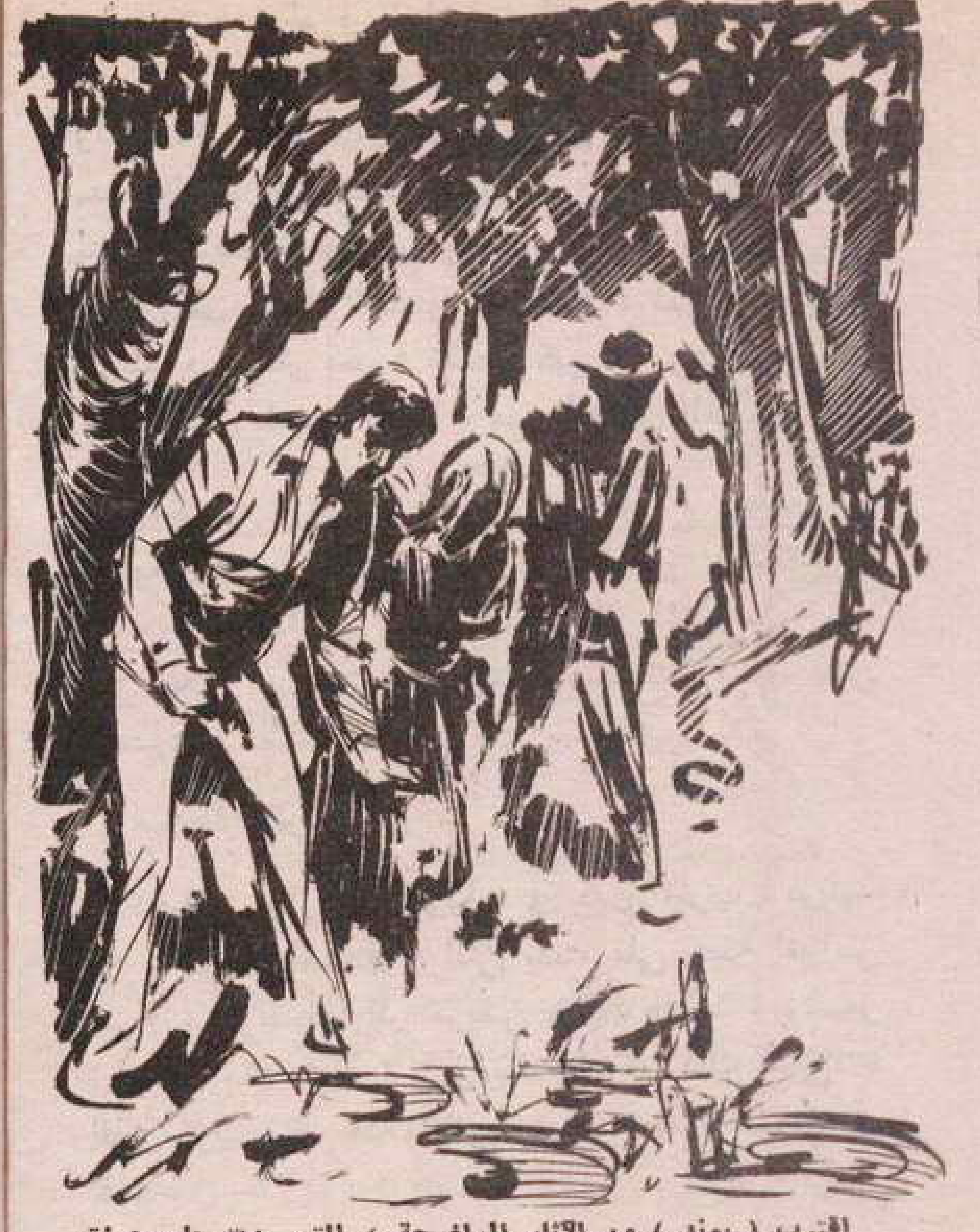
راح (كواريل) يقود القافلة الصغيرة ، التى صمدت للرياح العاتية اللافحة ، وهى تشق طريقها نحو المعسكر والمستعمرة ، وشعر (بوند) بالتهاب

عينيه ، وبألم فى ذراعه ، إثر إطلاقه النار على الصينى الضخم ، وراودته رغبة ملحة فى النوم ، ولكنه كان يعلم ان الحصول على هذه المتعة أمر مستحيل فى مثل هذه الظروف ، ولاحظ ان النهر يزداد ضيقا ، حتى صار مجرد مجرى صغير ، بين صفين من اعواد البامبو المدببة ، ثم لم يلبث ان اتسع ، وصار بحيرة ضحلة كبيرة ، وهنا اقترحت (هنى) ان يتجهوا شرقا ، عبر الأدغال العشبية ..

وفجأة توقف (كواريل) ، وراح يتطلع إلى اخدودين متوازيين ، ظهرا فى ارض المستنقع فى وضوح ، وبدا من الواضح انهما اثر لشىء ما ، جاء من التلال ، وشق طريقه وسط الأدغال حتى البحيرة ، فقالت (هنى) فى بساطة :

ـ هذا اثر التنين .

تجمد (كواريل) خوفا ، فى حين اقترب (بوند) من الآثار الواضحة ، التى بدت على هيئة اقواس كبيرة ، يتوسطها اثر عريض حديث العهد ، وشعر (بوند) بالدهشة ، وهو يتساءل عن ذلك الشىء ، الذى ترك مثل هذا الأثر ، وهمست (هنى) فى اذنه :



اقترب (بوند) من الآثار الواضحة ، التى بدت على هيئة اقواس كبيرة ، يتوسطها اثر عريض حديث العهد ..

ــ صدقنى إنه التنين .

غمغم (بوند) :

ــ لو انه ليس كذلك فهو شىء لم اره فى حياتى كلها .

هتفت الفتاة فى توتر :

ــ انظر الأعشاب العارية المحترقة .. إنها تبدو كما لو كانت عشا سابقا من اعشاش الطيور .

فحص (بوند) الأعشاب فى اهتمام ، وقال :

ــ إنها مهروسة هرسا !. لماذا هذه الأعشاب بالذات ؟

امتدت آثار التنين الغامض حتى اختفت فى الماء ، واضطرت القافلة إلى تجاهل الأمر ، وهى تواصل سيرها نحو هدفها ، حتى بلغت منطقة كثيفة الأغصان ، مع نهاية النهار ، وبدء الظلام ، ومع عبورهم تلك المنطقة الكثيفة ، ظهر امامهم كوخ محطم ، بدا وكانما تعرض لغارة جوية كاملة ، احالته إلى كومة من الأخشاب المحترقة ، إلا ان بقاياه كانت تصلح ــ على اية حال ــ كمأوى للثلاثة ، الذين القوا اجسادهم المنهكة إلى جواره ،

والشمس تختفى خلف الجبال ، ونقيق الضفادع يتصاعد فى الجو ..

وحولهم تناثرت آثار عجيبة ، هى كومة من المرجان ، وعدة أوان فارغة ، وبقايا تركها حارسا المعسكر السابقان ، وغمغم (بوند) فى إرهاق :

— يمكنك أن تستريحى هنا يا (هنى) ، وسنلتقى بعد نصف ساعة لتناول العشاء .

غمغمت ساخرة :

— هل نرتدى ثياب السهرة ؟

أجابها مبتسما :

— بالطبع ، وسيعد لنا (كواريل) طعام العشاء ، مما عثر عليه بين أنقاض الكوخ من علب محفوظة .

تركها واتجه نحو الرمال الخشنة ، المجاورة لشاطىء البحيرة ، واستلقى عليها فى تراخ ، وأطلق العنان لأفكاره ..

لقد بدا كل شىء واضحا الآن ..

إن دكتور (نو) لا يرغب فى رفقة أحد .. لقد دمر مستعمرة الطيور ، ودفعها إلى الفرار ،

وشن غارة رهيبة على معسكر (أودبون) وحارسيه ، وهو يقتل فى شراسة كل من يقترب من جزيرته ..

ولكن لماذا ؟..

الجواب على كل هذا الغموض يحتاج إلى إبلاغ المسئولين ، والعودة إلى الجزيرة على متن مدمرة بحرية من الأسطول الملكى ، واقتحامها عنوة ، وكشف كل غموض وأسرار جزيرة دكتور (نو) ..

بل كشف لغز دكتور (نو) نفسه ..

وفجأة بدا له صوت شىء ما يسبح فى الماء ..

شىء قوى عنيف ..

وعندما استل مسدسه ، ارتفع من خلفه صوت (هنى) ، تقول :

— العشاء معد ..

وفى نفس اللحظة تلاشى الصوت المخيف ..

تلاشى تماما ، دون أن يترك خلفه سوى لغز جديد ، يضاف إلى غموض هذه الجزيرة ..

جزيرة دكتور (نو) ..

* * *

١١ - قصتها ..

ساد الهدوء تماما ، مع اقتراب عقارب الساعة من الثامنة مساء ، وهب نسيم بارد ، أنعش (بوند) ، فأسبل جفنيه فى صمت ، وهو يستلقى على رمال الشاطىء ، إلى جوار (هنى) ، التى راحت تتطلع إلى النجوم المتلألئة طويلا فى صمت ، قبل أن تهمس بغتة :

— (جيمس) .. لقد وعدتنى بسرد القصة كلها .

— ليس قبل أن أسمع قصتك .

— لا ...اذكر لى قصتك أولا .

— حسنا .. انا رجل أمن ، ولقد اتيت إلى هنا مكلفا البحث عن اختفاء زميل لى يدعى (سترانجوايز) ، مع سكرتيرته ، و ..

قص عليها القصة كلها بكل وضوح وصراحة ، ثم أضاف :

— ومن الضرورى أن نعود إلى (جامايكا) غداً ، فى زورقنا الصغير ، ونطلع الحاكم على كل ما رأيناه ، ونطالبه بإرسال فرقة كاملة ؛ لإلقاء القبض على ذلك الصينى .. والآن ما قصتك ؟

— قل لى أولا : الا تقلق زوجتك من اسلوب عملك وحياتك هذا ؟

— لست متزوجا ، وشركات التأمين على الحياة وحدها تقلق بشأنى ، و ..

قاطعهما (كواريل) ، وهو يقول :

— سأتولى نوبة الحراسة الأولى ، حتى منتصف الليل ، وسنغادر الجزيرة فى الخامسة ، قبل أن ينبلج الفجر .

تركهما وانصرف إلى الحراسة ، فى حين راحت (هنى) تروى لـ (بوند) قصة حياتها ، قائلة :

— لم اغادر (جامايكا) مرة واحدة فى حياتى كلها ، وكنت أحيا بالقرب من ميناء (مورجان) ، فى منطقة تعرف باسم (الصحراء الفاتنة) ، وكان والدى يمتلك حقلا لقصب السكر ، لقى حتفه فيه مع أمى ، إثر حريق وتخريب متعمد ، وأنا فى الخامسة من عمرى ، وعشت فى كنف مربيتى السمراء ، حتى ماتت وانا فى الخامسة عشرة ، ومنذ ذلك الحين احيا وحدى وسط خرائب واطلال قصر والدى القديم ، وحاول بعض الرجال إيذائى ، ولكننى تعلمت كيف اواجههم وحدى .

ــ ربما جذبهم جمالك الأخاذ .

ــ هل تمزح ؟.. الم تر انفى الأفطس ؟

ــ عملية تجميل بسيطة تعيد إليه جماله .

ــ واين لى بالمال ، لإجراء جراحة التجميل ؟.. لست أملك من الدنيا سوى حفنة من الجنيهات ، اخفيها وسط اطلال قصر والدى ، وثلاثة خناجر ، وشبكة لصيد الأسماك ، وعملية التجميل تحتاج إلى خمسمائة جنيه على الأقل .. المهم .. دعنا نعود إلى قصتى .. هل تذكر حديثى عن الزواحف والحشرات ؟.. لقد بدات علاقتى بها فى اطلال قصر والدى ، فلقد كانت تلجأ إليه كمأوى ، وكانت مربيتى تخشاها ، اما انا فقد أحببتها ، ورحت اعمل على رعايتها ، والعجيب انها قد الفتنى ، ولم تعد مفترسة بالنسبة إلى ، بل راحت تبحث عنى ، وتسهر على حراستى وحمايتى ، وأنا اطعمها ، واهتم بشئونها ، حتى علم الجميع تلك الصلة العجيبة ، التى تربط بينى وبين الزواحف والحشرات السامة ، واصبحوا يخشوننى كما لو كنت ساحرة شريرة .. وذات يوم حاول رجل يدعى (ماندر) الاعتداء على ، فما كان منى إلا ان صفعته بكل قوتى ، فاجاب هو صفعتى بلكمة حطمت انفى ، وتركنى وانصرف ،

وانتظرت حتى حصاد قصب السكر ، عندما عادت إلى الحشرات ، وعلى راسها عنكبوت سام ، من نوع (الأرملة السوداء) ، فأمسكت بها ، واودعتها صندوقا مغلقا بلا طعام ، وتلك الأنثى العنكبوتية من اشرس انواع العناكب المفترسة ، واكثرها سما ، ولقد حملتها فى ليلة مظلمة إلى منزل (ماندر) ، واطلقتها نحو فراشه ، وكان شخيره يملأ الجو .

هتف (بوند) :

ــ وماذا فعلت به ؟

ــ قتلته .. مات متاثرا بسمها ، بعد اسبوع من الالم والعذاب ، ولكننى عشت فى سلام بعد موته ، وعلمت من دائرة المعارف ان الناس تهوى القواقع النادرة ، فرحت اسعى إليها وابيعها للمعاهد البحرية والهواة ، وربحت من هذا مبلغا كبيرا ، وقادنى البحث يوما إلى (كراب كى) ، وعثرت على ذلك النوع النادر من القواقع الوردية النادرة ، التى عادت على بمبلغ ضخم ، دفعنى إلى البحث عن المزيد منها ، مهما كان الثمن .

ــ لقد تصورت فى البداية انك صديقة لـ (نو) ، ولكننى كنت مخطئا .

ابتسمت فى ارتياح ، وجفناها يتثاقلان ، ثم لم تلبث ان راحت فى نوم عميق ، وكاد (بوند) يستسلم للنوم مثلها ، لولا ان لمس (كواريل) كتفه فى اللحظة ذاتها ، وقال فى رعب :

— هناك شىء يبرز من المـاء ..

وكانت ليلة رعب حقيقية ..

❋ ❋ ❋

١٢ ـ التنين ..

استيقظت (هنى) فزعة ، مع تلك الانتفاضة التى ندت من جسد (بوند) ، وهتفت مذعورة :

— ماذا حدث ؟

ربت (بوند) على كتفها مطمئنا ، وهو يقول :

— لا تتحركى من مكـانك يا (هنى) .. ابقى هنا وساعود بعد قليل .

واتجه مع (كواريل) إلى الأعشاب ، وراحـا يتطلعان من خلفها إلى البحيرة ..

وعلى بعد نصف كيلومتر منهما ، رايا شيئا يخرج من البحيرة ، له عينان مشتعلتان ، وفم يضخ لهيبا ازرق اللون ، ثم ظهـر جناحاه القصيران ، وراح الشىء يصدر ضجيجا هائلا ، وهو يتجه نحوهمـا بسرعة مخيفة ، كزورق بخـارى قـوى ، فهمس (كواريل) متوترا :

— يا له من حيوان رهيب !!

اجابه (بوند) فى توتر بالغ :

— إنه اشبه بمحرك قوى ، او بدبابة برمائية ، واظنه سيهاجمنا بلا رحمة ، وعلينـا ان نبحث عن

نقطة ضعف نهاجمه منهـا .. اظنها منطقيا كابينة القيادة ، فى تلك القبة الزجاجية .. صوب سلاحك إليها جيدا يا (كواريل) ، واطلق عليها النار على نحو متصل ، وساطلق انا النار على مصابيحه عندما يقترب ، وعلى إطـارات ايضـا ، فلا ريب ان له إطارات ضخمة كإطارات طائرة ، ولا ريب ايضـا انهم سيواجهون رصاصاتنا بالمثل ، فعليك ان تنسى اسطورة التنين الزائفة هذه تماما ، وتحاول حماية (هنى) من الرصاصات ، وسنأسر هذا الشىء ، وننطلق به إلى الشاطىء .

صاح (بوند) بـ (هنى) ، يطلب منها الاختباء فى حفرة وسط الرمال ؛ لتفادى الرصاصات المتطايرة ، واتخذ لنفسه موقعا يصلح لإطلاق النـار ، وافهم رفيقه والفتاة ان هذا التنين مجرد خدعة سخيفة ، لجأ إليها (نو) لإرهاب كل من تسـول له نفسـه التسلل إلى الجزيرة ، وتضاعف توتره عندما صار التنين الآلى على قيد ثلثمائة متر منـه ، وانواره البرتقالية تغمر الشاطىء ، واللهب الأزرق يندفع من فمه ، عبر جهـاز صناعى ، وبدا له ذلك التنين تحفة تكنولوچية رائعة ، كانت كفيلة بإثارة رعبه هو نفسه ، لولا صوت محركه الواضح ..

ثم بدأ القتال ..

بدأ بسيل من الرصاصات ، انهمر من مسدس (كواريل) على القبة الزجاجية ، التى صمدت أمام الطلقات على نحو عجيب ، فى حين تهشم مصباحا المقدمة ، إثر رصاصتين اطلقهمـا (بوند) ، فعم الظلام ، وإن لم يمنع هذا التنين الآلى من التقـدم بسرعته الجنونية ، وكأن شيئا لم يحدث ، وهنـا راح (بوند) يطلق النار على الإطارات الضخمة ، ولكن بلا جدوى ، فلقـد كانت الإطارات من معدن قوى ، تغطيه طبقة من المطاط السميك ..

واستدارت الآلة الجهنمية نحو النقطة التى يختفى عندها (كواريل) ، وانطلق منها لسان من اللهب ، اعقبته صرخة مدوية ، ثم التفتت إلى حيث يختبىء (بوند) ، واطلقت لسانا آخر من النيران ..

تجمد (بوند) فى مكانه ، وهو يحدق فى الأسطوانة الحمراء ، التى يندلع منها اللهب الأزرق ، وسـمع صوتا من داخل التنين الآلى يقول :

ــ اخرج إلى العـراء مع لعبتك يا رجل ، وإلا احلناك إلى كتلة من الفحم مثل زميلك .

شعر (بوند) بـ (هنى) تلتصق به من الخلف ، وجسـدها يرتجف فى رعب ، ووقع فى روعـة ان (كواريل) قد لقى حتفه حرقا على نحو بشع ، وبدا له ان الموت باية وسيلة اخرى سيكون اقل الما من الموت حرقا ، فامسك (هنى) فى قوة ، وخطا بهـا إلى العراء ، وارتفع الصوت من داخل الآلة يقول :

ـ قفا هنا .. والق سلاحك او تحترق بنيراننا .

القى (بوند) مسدسه الجديد ، وهو يسترجع ذكرى المسدس القديم ، الذى كان حجمه يسـمح بالمناورة فى مثل هذه الظروف ، وقال للفتاة ، وهو يضغط كفها فى رفق :

ـ اطمئنى يا (هنى) .. سنجد مخرجا من هذا حتمـا .

راى فى تلك اللحظة رجلا يخرج من الآلة ، ويبدو على ضوء اللهب المتراقص عملاقا قويا ، له ملامح صينية واضحة ، وهـو يصـوب إليهما مسدسا ضخما ، وقد تدلى قيـد حديدى من يده اليسرى ، واقترب من (بوند) ، قائلا فى صرامة :

ـ اتجه نحوى يا رجل .. وببطء .

اطاعه (بوند) ، فاحاط الرجل معصمى (بوند) بالقيد الحديدى ، وهو يهمهم بكلمات تحمل نبـرة الكراهية والرغبة فى الثار ، وتركه (بوند) يتم عمله ، ثم اتجه نحو البقعة التى لقى فيها (كواريل) حتفه ، ليلقى نظرة اخيرة على جثته ، ولكن رصاصة دوت تحت قدميه ، جعلته يلتفت إلى العملاق الصينى ، قائلا :

ـ اريد ان القى نظرة اخيرة على زميلى .

اطلق الصينى ضحكة وحشية ساخرة ، وقال :

ـ فليكن .. سامنحك دقيقتين ثم اشوى جسد الفتاة .

واصل (بوند) سيره نحو الاغصان المحترقة ، ووقع بصره على ابشع مشهد يمكن رؤيته ، فتمتم فى مرارة ، محدثا جثة رفيقه :

ـ آسف يا صديقى العزيز ، ما كنت احب لك تلك النهاية البشعة .

وعاد ادراجه إلى الصينى العملاق ، الذى قاده مع (هنى) إلى داخل الآلة ، وقال فى خشونة :

ـ اجلسا ارضـا ، وإياكما ولمس اى شىء ، وإلا حطمت اصابعكما تحطيما .

اطاعة الاثنان فى استسلام ، واتخذ الرجل مقعده إلى جوار السائق ، وقال :

ــ هيا يا (سام) .

انطلقت الآلة الجهنمية ، وهمست (هنى) فى رعب :

ــ إلى أين تظنهم يقودوننا يا (جيمس) ؟

بدت له شاحبة ملتاعة هلعة ، فتمتم :

ــ لست ادرى .. ربما إلى حيث دكتور (نو) ، ولكن لا تجعلى هـذا يقلقك ، وإذا قابلنا (نـو) بالفعل ، فلا تقولى شيئا ، واتركى الحديث كله لى .. وبالمناسبة ، اسلوب تصفيف شعرك يروق لى .

قالت فى دهشة :

ــ كيف يمكنك ان تتحدث فى مثل هـذه الامور الآن ؟.. ولكن شكرا لك على اية حال ، وساحاول الالتزام بالشجاعة ، ما دمت إلى جوارى .

حاول (بوند) خلال الحديث التخلص من الاغلال الحديدية ، ولكنها بدت له قوية متينـة ، شديدة الإحكام ، فكف عن المحاولة ، وبـدا له العملاق والسائق هادئين مطمئنين ، وراودته فكرة ان ينقض

عليهما من الخلف ، وينهال عليهما ضربا بالاغلال ، ولكنه لم يدر ماذا يفعل بعدها ، ولا كيف يمكنه الفرار من اى لسان لهب يطلقاه خلفه لو فعل ؛ لذا فقـد استسلم لموقفه ، وراح يفحص السيارة ، التى بدت له اكبر من اية سيارة معروفة ، وانها لا تعدو كونها سيارة مدرعة ، فى ثوب تنين ؛ لإثارة الخوف والفزع فى النفوس ، ولقد صممت بحيث يمكنها السير على الرمال ، وفى المستنقعات والبحيرات ، وبدا له من دقة وروعة تصميمها وتنفيذها ان (نو) هذا عبقرية فذة جبارة ، واقلقه ان يفكر فى المصير الذى يعده له رجل مثل هذا !.. إنه سيقتله حتما ، فهذا ما فعله فى كل من اخترق عزلته ، ولكن ماذا عن (هنى) .. هل سيقتلها ايضا ، ام سيحتفظ بها كجارية له ، او لأحد رجاله الأوغاد ؟

انتبه فى هذه اللحظة إلى ان السيارة قد عبرت البحيرة ، وراحت تتخذ طريقها عبر الطريق الجبلى إلى المرتفع ، ورأى احد الرجلين يتطلع إليه ، فقال فى سخرية :

ــ ستحصل على قلادة ذهبيـة لعملك الرائع هذا .

قال الرجل فى خشونة :

ـ اصمت واغلق فمك الكبير .

همست (هنى) :

ـ لماذا يكرهوننا إلى هذا الحد يا (جيمس) ؟

ـ لأننا اثرنا الرعب فى نفوسهم ، ولم نرتجف خوفا منهم ، وهذا يغيظهم كثيرا .

اكتفت (هنى) بتلك الإجابة المبهمة ، وراحت الآلة تصعد المرتفع فى إصرار ، قبل ان ينبلج الصباح ، وتهب تلك الرياح الحارة اللافحة ، وترتفع فى الجو رائحة المستنقع الخانقة ، وتذكر (بوند) صديقه (كواريل) ، الذى ذهب شهيد الواجب ، وتذكر بوليصة التأمين الكبيرة ، التى اصر على عملها قبيل انطلاقه مع (بوند) ، ثم توقفت السيارة ، ورأى (بوند) احد الرجلين يتناول مكبرا للصوت ويقول :

ـ لقد القينا القبض على (لايمى) والفتاة ، ومات الآخر .. افتحوا الأبواب .

سمع (بوند) صرير باب حديدى ضخم يفتح ، وعبرته الآلة ، ثم توقفت خلفه ، وهب هواء رطب ، وشعر (بوند) بمن يسحبه خارج السيارة ، ورأى بندقية مصوبة إلى صدره ، وصوت صارم يقول :

ـ لا تتحرك .

كان هناك صينى يصوب إليه مسدسه ، وآخر يهدد (هنى) ، وبقى هو و (هنى) على هذا الحال لحظات ، داخل الكوخ الذى بدا عبارة عن ورشة إصلاح و (جراج) كبير ، حتى جاء حارس يقول :

ـ سنرسلهما إليه فى الحال .

استدار احد الحارسين إلى (بوند) ، وقال :

ـ هيا .. تحركا .

اجابه (بوند) فى لا مبالاة :

ـ بل تحرك انت ، وقل لهؤلاء القرود أن يبعدوا اسلحتهم عنا ، فقد تنطلق منهم رصاصة عفوا ، وهم يعبثون بدماهم هذه .

قال الرجل فى غضب :

ـ سيكون من سوء حظك ان يترك امرك لى ، فستعرف حينئذ كيف اتعامل مع امثالك .

ثم نقل بصره إلى (هنى) ، وسأل رفاقه :

ـ ما رايكم يا رفاق ؟

ادرك (بوند) مغزى السؤال ، فأسرع يقول :

ـ هيا يا رجال .. إن دكتور (نو) ينتظرنا .

كان لذكر اسم (نو) سحرا عجيبا ، فقد ارتبك الرجال ، واسرعوا يقودون (بوند) و (هنى) نحو باب فى نهاية الكوخ ، ودق رئيسهم جرس الباب مرتين فانفتح الباب ، وقادهم إلى ممر طويل ، انتهى إلى باب انيق ، توقف الرجال أمامه ، وقال رئيسهم:

— إلى الأمام يا مستر (بوند) .. اطرق الباب ، وستستقبلك المضيفة ، وتقوم بكل المطلوب .

تقدم (بوند) نحو الباب الأنيق مع (هنى) ، وسمع الباب الآخر يغلق خلفهما ، فتوقف قائلا :

— البساط سميك وناعم .. أليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر جوابا ، طرق الباب الأنيق فى هدوء ..

وانفتح الباب ..

واتسعت عينا (بوند) و (هنى) إلى آخرهما ..

لقد كان امامهما مشهد مذهل ..

مذهل جدا ..

* * *

١٣ ـ الروعة ..

كل شىء فى مقر (نو) كان رائعا ، مبهرا ، مذهلا ..

غرفة الاستقبال فسيحة ، مغطاة ببساط ضخم سميك ، وتنبعث من اركانها اضواء رائعة ، موزعة على نحو يشف عن ذوق مرهف رفيع ، وإلى يمين (بوند) كان هنا مكتب ضخم ، مغطى بمخمل اخضر ، وفوقه جهاز لاسلكى ، والهواء مكيف رقيق ، والمكان يمتلىء بزهور ونباتات الظل ، على نحو بالغ الروعة والأناقة ، وهناك سيدتان صينيتان ، انهمكت إحداهما فى كتابة شىء ما ، وامسكت الأخرى الباب ليدخل (بوند) ورفيقته ، وقد تملكهما انبهار كامل ، وابت السيدة الممسكة بالباب إلا ان تزيد من دهشتهما وانبهارهما ، عندما قالت فى كلمات رقيقة ناعمة مرحبة :

— يؤسفنا ان كنا نجهل موعد وصولكما .. فلقد ابلغونا انكما ستصلان مساء امس ، ولقد انتظرناكما حتى وصلتما فى موعد إفطار اليوم .. هيا املا اوراقكما عند الأخت (روز) ، وساقودكما إلى

حجرتيكما ، لتحصـــلا على قـــدر من النوم ، بعد المجهود الذى بذلتماه الليلة .

قادتهما إلى المكتب الذى تجلس خلفـه السيدة الأخـرى ، وقدمت لهما عـدة علب من السجائر الفاخرة ، وهى تقول :

— هذه سجائر امريكية ، وهذه إنجليزية ، وتلك تركية ، و ..

انتبهت نجاة إلى القيد فى يدى (بوند) ، فبترت عبارتها لتهتف مستنكرة :

— المفتاح يا اخت (روز) .. لقـد اكدت الف مرة الا ياتى الضيوف باغلال فى معاصمهم .

أسرعت الأخت (روز) تخرج مفتاحا كبيرا من درج مكتبها ، ففتحت به القيد الحديدى ، ثم القته فى سلة المهملات ، فقـال (بوند) ، وهـو يلتقط سيجارة :

— شكرا لك .

بدت (هنى) ماخوذة مشدوهة بما يحدثحولها ، فابتسم لها (بوند) ، وكأنما يبث فيها بعضـا من شجاعته ، وسمع (روز) تسأله :

— ما اسمك ؟

— (برايس) .. (جون برايس) .

— عنوانك ؟

— جمعية حدائق الحيوان ، (ريجنت بارك) .. (لندن) .

— الوظيفة ؟

— متخصص فى علم الطيور .

— الغرض من الزيارة ؟

— انا مندوب لجمعية (أودبون) ، جئت لتفقد مستعمرة الطيور النادرة .

— ومـاذا عن زوجتك ؟.. هل تهتم بالطيـور أيضا ؟

— بكل تاكيد .

— ما اسمها ؟

— (هنشيبل) .

— اسم جميل هو .. من أقـرب إنسان إليك ؟ هذا آخر سؤال .

اعطاها (بوند) الاسـم الحقيقى لمستر (م) ، مدعيا انه عمه ، واعطاها عنوانه بصفته المدير العام لشركة التصدير العالمية ، فقالت (روز) :

ــ شكرا يا مستر (برايس) .. اتمنى لكما إقامة طيبة هنا .

وهنا ابتسمت الفتاة الأخرى (ليلى) ، وقالت :

ــ نسيت أرقام الحجرتين ايتها الأخت (روز) .

ــ الرابعة عشرة والخامسة عشرة .

ــ شكرا ايتها الأخت (روز) .. اتبعنى يا مستر (برايس) ، مع زوجتك .

قادتهما عبر ممر طويــل ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ــ أعلم أن الممر طويل ، ولقــد فكر الدكتور فى تركيب ممر متحرك ، ولكن مشاغله الكثيرة منعته من تنفيذ هذا .

غمغم (بوند) :

ــ لا شك فى هذا .

وتناول يد (هنى) فى كفه ، و (ليلى) تقودهما عبر الممر الطويل ، المضاء على نحو بديع ، وراح يجيب كل تعليقاتها فى ادب جم ، وهو يتســاءل فى اعماقه عن سر هذه الزيارة الشاذة ، وعن هــذا الاستقبال العجيب ، الذى لم يتوقعه قط ، وادرك

بغريزته انه قد انتقل من الكوخ إلى اعماق الجبل ، عبر هذا الممر ، الذى يمتد غربــا ، وبدا له الهواء نقيا منعشا ، لا اثر فيه للرطوبة أو العفونة ، وبات من الواضح ان ثروة طائلة قد انفقت لصنع هــذا المخبأ الهندسى الرائع ، وخيــل إليــه ان (ليلى) و (روز) تجهلان كل شىء عما يدور خارج الجبل تماما ، ولقد قادتهما (ليلى) حتى نهــاية الممر الطويل ، وطرقت بابا يسد الطريق ، ففتحته صينية أخرى ، انحنت فى أدب جم ، و (ليلى) تقول :

ــ هاهما ذان يا (ماى) .. مستر (برايس) وزوجته ، وهما متعبان للغاية ، ويحتاجان إلى بعض الطعام والنوم العميق .

ثم التفتت إلى (بوند) ، مستطردة :

ــ الآنسة (ماى) فتاة رائعة ، ستتعهدكمــا برعايتها وعنايتهــا ، مثلما تفعــل مع كل الزبائن الضيوف ، والمرضى .

وابتسمت (ماى) وهى تقول :

ــ أرجو لكما إقامة طيبــة ، يا سيد ويا سيدة (ماى) .

وقادتهما عبر ممر يحوى عدة حجرات ، وفتحت غرفة تحمل رقم (١٤) ، واخرى تحمل رقم (١٥) ، ودلفت إلى الأولى ، فتتبعها (بوند) و (هنى) ، وكانت الحجرة رائعة الأثاث والرياش ، ولكنها بلا نوافذ ، وبلا مقابض للأبواب ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هتف (بوند) :

— حجرة رائعة ، ما رايك يا عزيزتى ؟

تحاشت (هنى) النظر إليه ، وهى تقول :

— بلا شك .

دلفت إلى الحجرة فى تلك اللحظة فتاة فى مثل جمال (ماى) ، تحمل صينية طعام ، فتراجعت (ماى) قائلة :

— الآن اترككما فى سلام ، لقد اصدر دكتور (نو) اوامره بان تتناولا بعض الطعام ، ثم تخلدان للنوم ، وستجدان الأجراس إلى جوار الفراش ، والملابس فى الصوان . والدكتور يدعوكما لتناول طعام العشاء على مائدته الليلة ، فماذا اقول له ؟

— اخبريه اننا نقبل دعوته الكريمة بالطبع .

غادرت (ماى) الحجرة ، والتفت (بوند) نحو (هنى) ، التى بدت مشدوهة ، يدهشها كل ما يحدث

حولها ، فاطلق ضحكة عالية ، وامسك يدها الباردة كالثلج ، وهو يقول :

— فلنتناول الطعام اولا ، وليحدث ما يحدث بعداه .

اجابت محاولة اجتلاب الشجاعة :

— إننا فى المصيدة يا (جيمس) ، وليس امامنا سوى تناول الطعام .

راح يفحص الحجرة فى دقة ، بحثا عن سلاح ، ولكنه لم يعثر على شىء ؛ فلم يكن بالحجرة سوى ساعة كهربية ، والأبواب الخفيفة ، التى ضغطها بكل قوته ، فلم تستجب ، ولم يعد امامه بالفعل سوى تناول الطعام ..

وعندما فعل ، راودته رغبة شديدة فى النوم ، ورأى (هنى) تتجه إلى فراشها ، وتذهب فى سبات عميق ..

وادرك (بوند) انه و (هنى) قد تناولا مادة مخدرة مع الطعام ، وحاول ان يقاوم رغبته الشديدة فى النوم ، وهو يزحف حتى الفراش زحفا ، ولكنه لم يكد يلقى جسده فوقه ، حتى ذهب بدوره فى سبات عميق ..



ثم اتجه نحو (بوند) ، وبدا وكأنما يفحص كل دقيقة من دقائقه ، وكل خلجة من خلجاته ..

وبعد نصف الساعة تقريبا دلف رجل رفيع طويل إلى الحجرة فى صمت ، واتجه فى بطء نحو فراش (هنى) ، وانحنى يفحص الفتاة طويـلا ، ثم رفع غطاء الفراش عنها ، واستكمل فحصـها ، على ضوء مصباح مثبت على صدره ..

ولم تكن تلك اليد التى رفعت الغطاء عنها يدا بشرية ..

كانت كلابة من الصلب ، تنتهى بخطاب ميكانيكى ..

وبعد فترة من الفحص ، أعاد الرجل الغطـاء فوق الفتاة ، ثم اتجه نحو (بوند) ، وبدا وكأنما يفحص كل دقيقة من دقـائقه ، وكل خلجـة من خلجاته ، وفحص نبضه وقلبه وعضلات ذراعيـه وساقيه ، ثم فحص خطى الحياة والقدر فى خطوط كفه ، وأخيرا أعاد الغطاء على جسـد (بوند) ، وغادر الحجرة فى خفة ..

خفة فهد مفترس ..

* * *

١٤ – اللقـاء ..

راحت أسراب الطيور تحلق فى سماء الجزيرة ، وغطت قمة الجبل بمخلفاتها البيضاء ، وهى تروح فوقها وتجىء ، إيذانا ببدء موسم التزاوج والتكاثر ، حيث تضع كل أنثى ثلاث بيضات كبيرة ، ويبدأ جيل جديد ..

وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة والنصف عصرا ، عندما بدأ مائة عامل وعاملة رحلة عودتهم ، بعد يوم من العمل الشاق ، حفروا خلاله مائتى متر مكعب من مخلفات الطيور ، وسط رائحة نشادر نفاذة ، وغدا تصل سفينة نقل سماد الطيور ، التى ينتظرها العمال بفارغ الصبر ؛ للحصول على المكافآت ، وكئوس الشراب ، فى تلك المناسبة التى لا تتكرر كثيرا ..

وفى ذلك الوقت استيقظ (بوند) ، وشعر بصداع شديد فى رأسه ، ووقع بصره على (هنى) ، وقد استيقظت ، وارتدت زيا صينيا ، وراحت تختال به أمام المرآة ، فضغط زرا مجاورا الفراش ، طلبا لشىء من الطعام ، وقد لاح له أن أحدا قد أزال بواقى طعام الإفطار .. ولقد استجابت (ماى) إلى

نداء الجرس ، وظهرت مع فتاتين جميلتين ، طلب منهما (بوند) بعض الشاى ، وسألهما أن يقوما بتهذيب شعر (هنى) وقص أظفارها ، فأومأت (ماى) برأسها إيجابا ، وسألته :

– الدكتور يسأل : هل يناسبك موعد فى الثامنة إلا الربع لمقابلته ؟

أجابها (بوند) فى حماس :

– بالتأكيد .

ابتسمت فى امتنان وهى تنصرف ، تاركة الفتاتين للعناية بـ (هنى) ، وجلس (بوند) يراقب عملهما ، وعيناه تتابعان المقصات الصغيرة وهى تعمل ، حتى انتهيا من عملهما ، واقترب موعد مقابلته مع (نو) ، فارتدى بدوره زيا صينيا ، وجلس صامتا ، حتى وصلت (ماى) ، فتبعها فى هدوء ، وهو يفكر فى عمق ، حتى توقفت (ماى) عند باب مصعد ، انفتح على مصراعيه من تلقاء نفسه ؛ وبدا كل شىء لـ (بوند) متقنا ، يشف عن ثراء (نو) الفاحش ، وغمغم لـ (هنى) :

– أشعر بصداع شديد .

التصقت به ، وهى تقول :

– أرجو أن يفارقك الصداع بسرعة يا (جيمس) .

ـ شكرا يا عزيزتى .. حاولى الليلة الا تبدى الكثير من الاهتمـــام بدكتور (نــو) ، وحاولى ان تكونى طبيعية ، فالرجل مجنون حتما .

توقف بهما المصعد بعد عدة أمتار ، وانفتح آليا ، فبدت لهما حجرة مكتب ضـخمة فاخرة ، ازدحمت جدرانها بالكتب والمجلات ، فيما عدا جدارا واحدا ، صنع باكمله من الزجاج ، وبدت خلفه اسماك تسبح فى نعومة وليونة ، وفى اعــلاه بــدا قرار زورق ، وامواج تضرب صفحة الزجاج ، وفوقها قبة السماء الزرقاء ..

وادرك (بوند) ان الحجرة تحت مستوى الماء ، وان جدارها هذا مصنوع من زجاج سميك ، فراح يحدق فى المشهد مبهوتـــا ، ورأى من خلف الزجاج سمكتين من اسماك القرش ، اختفتا فى سرعة ، واطفئت انوار الحجرة كلها دفعة واحدة ..

وتوقع (بوند) ان يظهر (نو) مع الظلام ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وعـــاد الجدار الزجاجى يجذب انتباه (بوند) مرة اخرى ، وراح يتساءل كم تكلف صنع تلك المعجزة الهندسية ، وكم تكلفت من اموال ، وفجأة ارتفع من خلفه صوت يقول :

ـ مليونا من الدولارات .

استدار (بوند) و (هنى) يتطلعان إلى دكتور (نو) ، بقامته الطويلة النحيلة ، فابتسم هذا الاخير مستطردا :

ـ هــذا هو السؤال الذى يدور براس كل من يشاهد حائطى هذا .. كم تكلف من اموال .

تقدم (نــو) نحوهما فى بطء ، وخيل إليهما انه ينزلق ، ولا يسير على قدمين ، وكان من الواضح انه طويل القامة على نحو بالغ ، وانه يفوق (بوند) بخمسة عشر سنتيمترا تقريبا ، وكان أصلع تماما ، أصفر البشرة ، لا يشف وجهه عن عمره أبدا ، له حاجبان اســودان ، وعينان كبيرتان بلا أهداب ، وأنف صغير دقيق ، يعــلو فما واسعا ، ولم تنجح الابتسامة الكبيرة فى إخفاء صرامته وقسوته ، وهو يقول :

ـ يؤسفنى أن أعجز عن مصافحتكما ، فلست املك يدين .

وابرز معصميه ، وقد اتصلت بهما كلابتان من الصلب ، رفع إحداهما فى وجه (هنى) ، مستطردا :

ـ للأسف .

ثم التفت إلى (بوند) ، وقال :

— هل راقت لك مشاهدة اسماكى ؟
اجابه (بوند) :

— لست اظن المرء يمل ابدا الجلوس فى حجرتك هذه يا سيدى .. اهنئك عليها .

قال (نو) فى برود ، وكانما لم يسمع تعليق (بوند) :

— هيا يا سيدى .. اجلس .. امامنا وقت قصير وحديث طويل .

قالها وجلس على مقعد جلدى فاخر ، وجلس (بوند) امامه ، فى حين جلست (هنى) بينهما ، ولمح (بوند) صينيا قصيرا يقف خلفه ، مرتديا سروالا اسود وقميصا ابيض ، وقال (نو) :

— إنه حارسى الخاص ، وظهوره المفاجىء يعود إلى اننى احمل جهازا سريا ، يمكننى من استدعائه وقتما اشاء .. قل لى : اى شراب تفضل الفتاة ؟

طلبت (هنى) اى مشروب مرطب ، فى حين طلب (بوند) كوكتيلا ، فقال (نو) :

— من الواضح انك رجل يعرف هدفه تماما ، ولكن الا يحدث أن يسعى شخص ما نحو هدف محدود ، فيناله غيره ؟.. إنه مبدئى .. اعطنى

محورا للارتكاز ، وانا احرك العالم كله .. ولكن دعنا من هذا الحديث الهامشى ، ولنناقش ما يعنينا .

واعتدل ، ومال إلى الأمام ، وتطلع إلى وجه (بوند) ، مستطردا :

— والآن ما رايك فى ان نكشف اوراقنا بكل صراحة ، يا مستر (جيمس بوند) ، يا رجل المخابرات البريطانية ؟!

ورفع إحدى كلابتيه إلى اعلى ، وقال :

— سابدأ انا ، فاقول الصدق ، وكل شىء غير الصدق ، وعليك أن تحذو حذوى ، ولكن حذار ، فكلابتى تكشف الكذب بسرعة .

ارتشف (بوند) كاسه دفعة واحدة ، وادرك انه لو صارح (نو) بقصة الطيور هذه فلن يصدقه هذا الأخير ؛ لذا فقد ابتسم ، وقال :

— فلتعلم ان عميلتك (تارو) فى (كنجز هاوس) قد انكشف امرها .

لم يبد اى اهتمام على وجه (نو) ، فتابع (بوند) :

— لقد فقدت يديك فى الحرب ، وكثيرون اصابهم هذا ، ولكنك وحدك تستخدم كلابات قوية كهذه ، وتضع عدسات فى عينيك ، بدلا من المنظار العادى ،

وعلى صدرك جهاز تستدعى به حارسك الخاص ، ولست اشـك فى انك تملك مجموعـة اخـرى من الالاعيب ، ولكنك مازلت بشريا مثلنا ، تأكل وتنام ، ولا داعى لمحاولة إبهارنا هذه .

— حديثك شجاع يا مستر (بوند) ، وسأتغاضى بالطبع عن سخافته ، على الرغم من اننى رجل يقدر الفن ، وسأقص عليك قصة لم اقصها على مخلوق من قبل ، لعل هذا يسرك انت والفتاة .

قال (بوند) :

— لا شأن لى بالفتاة ، لقد عثرت عليها تجمع المحـار والقواقع على الشـاطىء امس ، ولكن رجالك حطموا زورقهـا ، فاضطررت لاصطحابها معى ، والأفضل أن تطلق سراحها ، وأؤكد لك انها لن تنبس بحرف واحد .

ولكن (هنى) قالت فى عناد :

— بل سأتكلم ، وسأقول كل شىء ، ولن اغادر المكان وحدى ، بل سأبقى إلى جوارك .

قال (بوند) فى صرامة :

— ومن قال إننى اريدك ؟

قاطعهما (نو) فى هدوء :

— لا داعى للجدال ، ما من مخلوق يطأ جزيرتى ويعود سالمـا ..

تطلع إليه (بوند) لحظة ، ثم هز كتفيه ، والتفت إلى (هنى) ، وابتسم قائلا :

— لا بأس يا (هنى) ، ستبقين معنا ، ونستمع إلى هذا المجنون .

لم يبد على (نـو) انه قد سمع العبارة ، او حتى انه يهتم بها ، فقد قال فى هدوء ناعم مخيف :

— كل العظمـاء والفلاسفة والقادة مجانين ، يدفعهم نوع من الجنون كالطاقة إلى الأمام .. وانا مجنون بالقوة .. عاشق لها ، ومن اجلها امتلكت هذا المكان ، ومن اجلها جئت انت إليه .

ملأ (بوند) كأسه مرة اخرى ، وقال :

— هـذا لا يدهشـنى يا دكتـور (نـو) ، فمستشفيات الأمراض العقلية تزخر بأمثالك ، ممن يتصورن انفسهم ملوكا واباطرة ، ويحلمون بالقوة وهم رهناء محابسهم مثلك .

— القوة عرش كبير يا مستر (بوند) .. لقد قال (كلوزفيتز) إن بناء القاعدة هو الذى يصنع القوة ، وهذا ما فعلته انـا . ولست اذيع سرا ،

لو قلت إننى قد حققت المعجزة بعقلى الجبار ، وإنه ما من مخلوق فى العالم يملك قوتى وسطوتى ، فحتى الملوك والأباطرة يعتمدون على جيوشهم وشعوبهم، اما انا فأعتمد على نفسى اعتمادا كاملا ، واحتفظ بقوتى على نحو لم يبلغه إنسان أو شيطان .

— إنه مجرد خداع قوة يا (نو) ، فالممسك بمسدس قوى يمكنه ان يقتل من يقف امامه فحسب .. انت مجرد قاتل مثل عشرات القتلة ، الذين ارتكبوا جرائمهم ، دون ان تنالهم يد العدالة ، ولكنهم لاقوا مصيرهم المحتوم فى النهاية .. صدقنى يا رجل .. القوة كلها مجرد لفظ مخادع .

— وكذلك الجمال يا مستر (بوند) .. والثراء .. والموت .. وربما الحياة ايضا .. كلها امور نسبية ، وعبثك بالالفاظ لا يبهرنى ، فانا اكثر منك معرفة بالفلسفة والمنطق ، وثق ان حديثنا لن يبدل فلسفتى أو نظرتى للحياة ؛ اذا استمع إلى قصتى فحسب .

صمت لحظة ، ثم اضاف :

— كنت الابن الوحيد لرجل دين نظامى ، وام صينية من (بكين) ، ولكننى تربيت فى بيت خالتى ، مفتقرا إلى رعاية الأب وحنان الأم ، ولقد دفعنى

هذا إلى الانضمام لجماعات (التونج) ، حيث المؤامرات والسرقات والقتل ، حتى انهارت عصابات (التونج) ، فهربت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعشت طويلا فى (نيويورك) ، وبناء على توصية من احد كبار رجال (التونج) تم تعيينى كاتم اسرار ، وامينا لصندوق من صناديق المال يحوى مليونا من الدولارات ، وعندما اشتعلت الحرب بين حزبى (التونج) (هيبسينجز) و (اون لى اونجز) ، تحطم كل شىء ونهب ، فسرقت المبلغ ، واختفيت فى حى (هارلم) ، وكان ينبغى ان اغادر (امريكا) كلها ، فقد نشطت عصابات (التونج) فى البحث عنى، حتى عثروا على ، وراحوا يعذبوننى فى قسوة ، ويسالوننى عن مخبإ الذهب ، دون ان امنحهم جوابا شافيا ، فقطعوا يدى ، واطلقوا النار على قلبى وذهبوا .. ولقد انقذنى جهلهم بطبيعتى النادرة ، حيث إن احشائى كلها معكوسة ، وقلبى فى الناحية اليمنى ، وهى حالة نادرة ، تحدث بنسبة واحد إلى المليون .. وساعد تمسكى بالحياة على شفائى ، بعد شهور فى المستشفى ، ورحت افكر فى وسيلة للفرار خارج البلاد بالمليون دولار ، واتساءل عما ينبغى ان افعله بها .

توقف (نو) ، واغمض عينيه طويلا ، وكأنما يسترجع ذكريات عسيرة ، وخطر ببال (بوند) ان يهاجمه ويقتله ، إلا ان (نو) فتح عينيه مرة اخرى ، وقال :

ــ وعندما غادرت المستشفى يا مستر (بوند) كنت قد وضعت خطتى ، فذهبت إلى اكبر تاجر طوابع فى (نيويورك) ، وابتعت مظروفا يحوى اكثر الطوابع ندرة فى العالم ، وكذلك فعلت فى (لندن) و (باريس) و (زيورخ) ، ورحت ابدل فى هيئتى ، فاقتلعت شعر راسى من جذوره ، واجريت جراحة تجميل لانفى الأفطس ، فصار دقيقا ، وارتديت كفين صناعيين من الشمع داخل قفازين ، واطلقت على نفسى اسم (جوليوس نو) ، وأبدلت بمنظارى عدستين قويتين ، ثم التحقت بكلية الطب فى (ميلواكى) ، وهناك .. بين المجلدات الضخمة والمعامل الكبيرة درست خصائص وأسرار الجسد البشرى والعقل ، ومدى احتمال هذا الأخير ، وبعدها بدات تجاربى حوله ، وبدأ السعى نحو القوة والسيطرة المطلقتين .

صمت لحظات ، ثم اضاف :

ــ لن اثقل عليكما بحديث طويل .. لقد انهيت

دراستى ، وطفت العالم حاملا لقب دكتور (نو) ؛ لأن الأطباء يحظون باحترام الناس ، وبالبعد عن الشبهات كثيرا ، ورحت أبحث عن مركز قيادة بعيد عن اهوال الحرب ، حتى عثرت على (كراب كى) ، وابتعتها ، وقضيت فيها أربعة عشر عاما دون منغصات ، ووجدت لدى ثروة من مخلفات الطيور لا تكلف قرشا واحدا ، ولكننى كنت احتاج إلى عمال ، فاستقدمت مائة عامل وعاملة من (جامايكا) ، وصنعت مجتمعا معزولا ، يحصل العامل فيه على ضعفى أجره خارجه ، واستقدمت عددا من الصينيين وعائلاتهم لمراقبة العمال ، وهم غلاظ القلوب يعتمد عليهم كثيرا ، وبعدها اضفت إليهم المهندسين ، وبدا العمل فى الجبل ، وفيه صنعت قلعتى ، ومستشفى كاملا لإجراء العمليات الجراحية ، وحصنا حصينا ، وخطوتى التالية هى أن أمد سلطانى إلى العالم أجمع .

جرع كأسه دفعة واحدة ، قبل ان يواصل :

ــ الحادث الوحيد الذى كاد يعكر صفو حياتى هو ظهور الطائر الملعقى فى الجزيرة يا مستر (بوند) ، واهتمام حمقى جمعية (أودبون) به .. لقد تركتهم وشأنهم فى البداية ، ومنعت رجالى من

الاتصال بحارسى المستعمرة ، أو من يفد من علماء الطيور ، وكذلك حذرت هؤلاء من الاقتراب من منطقتى ، ولكن ذات يوم وصلنى خطاب يقول : إن الطائر الملعقى هذا قد صار اندر الطيور فى العالم على الإطلاق ، وإن جمعية الحمقى هذه تنوى بناء فندق هنا ، يرتاده محبو الطيور النادرة ، وإن افلاما سينمائية سيتم تصويرها ، وما إلى ذلك .. تصور هذا يا مستر (بوند) !!.. بعد أن كافحت سنوات لأصنع قلعتى السرية ، ينهار كل شىء بسبب مجموعة من العجائز ، ترغب فى مشاهدة بعض الطيور النادرة !!.. ولقد حاولت فى البداية منع حدوث ذلك بكل الوسائل القانونية ، وحاولت شراء المنطقة من جمعية (اودبون) بمبلغ ضخم للغاية ، ولكنهم رفضوا عرضى ، وهنا رحت ادرس كل ما يتعلق بالطيور الملعقية ، وعندئذ بدا لى الحل سهلا ميسورا ، فالطيور السخيفة يعتريها الخوف بسرعة ، وهكذا صنعنا ذلك التنين ، الذى بث الرعب فى قلوب الطيور ، وسحق المعسكر وحارسيه ، وراحت الطيور تفر وتموت بالآلاف ، حتى وصلتنى برقية تفيد وصول رجلين من جمعية (اودبون) على متن طائرة ، ورايت من الحكمة ان

اوافق فوافقت ، ودبرت حادثا اباد الطائرة ، وحطمها تحطيما ، واحتفلنا بالجثتين احتفالا مهيبا ، ووجدنا تفسيرا منطقيا لحادث الطائرة ، وآخر لمصرع حارسى مستعمرة الطيور ، وهكذا عاد السلام إلى ارضى ، واظن جمعية (اودبون) ستقبل عرضى هذه المرة ، وإلا فإنها ستتعرض إلى حرب شعواء ، لن ينعم بها احدهم قط .

قال (بوند) :

ــ قصة طريفة ، ولكن لماذا تخلصت من (سترانجوايز) والفتاة ؟ ماذا فعلت بهما .

ــ إنهما يرقدان الآن فى قرار نهر اموناريزرفوار) ، فلقد بدا (سترانجوايز) يشك فى اعمالى ، وكان لابد له من هذه النهاية مع سكرتيرته ، وكان من الممكن ان افعل الشىء نفسه معك ، ولكننى علمت طبيعتك ، من ذلك الملف الذى اخذناه من (كنجز هاوس) ، وادركت ان الذبابة ستلقى نفسها بإرادتها بين خيوط العنكبوت ، وما إن ظهر قاربك على الرادار ، حتى ادركت انك قد وقعت ، ورحت استعد لاستقبالك .

ــ لم يكن رادارك محقا ، فلقد التقط شراع

تارب الفتاة ، وانا أؤكد لك للمرة الثانية انه لا شأن لها بالأمر مطلقا .

— إنه ســوء حظها إذن ، فأنا أحتاج إلى فتــاة بيضـــاء لتجربة صغيرة .. ولقد قلت لك من قبل يا مستر (بوند) إن الإنســـان يحصـــل دوما على ما يريده .

تمنى (بوند) لحظتها لو يقتل (نــو) ، ولكنه شعر بعجزه عن هذا فى الوقت الحالى ، فلجأ إلى وسيلة أخرى ، وهو يقول :

— لن يصاحبك الحظ دوما يا (نــو) .. هناك ملف خاص عنك ، دونت فيــه حادث الطــائرة ، ومصرع حارسى مستعمرة الطبــوز ، وبه اســماء الآنسة (شوبك) و (نارو) .. ودعنى أخبرك بكل صراحـــة أن التعليمات قد صـــدرت فى (جامايكا) لمهاجمة (كراب كى) ، لو لم أعد خلال ثلاثة أيام .

لم يبد على وجه (نو) أى اهتمام بحديث (بوند) ، الذى تابع :

— ومن أجل هــذه الفتاة فقط سأتفاوض معك يا (نــو) . حســنا .. ما قولك فى أن تعيدنا إلى

(جامايكا) سالمين ، ثم أمنحك أسبوعا كاملا لتغادر (كراب كى) بطائرتك ، تاركا كل شىء خلفك ؟

لم ينطق (نــو) بحرف واحـــد ، ولكن نظراته اتجهت إلى نقطة ما خلف (بوند) ، وكذلك اتجهت نظرات (هنى) إلى النقطة نفسها فى رعب ..

والتفت (بوند) فى حدة ..

ورأى ما يتطلعان إليه ..

كان يقف خلفه الحارس الخاص لدكتور (نو) ، وإلى جواره رجل مفتول العضلات صارم الملامح ..

لحظتها أدرك (بوند) الجواب ..

جواب دكتور (نــو) ..

***

١٥ — مخالب ..

« العشاء معد يا سيدى .. » .

نطقها الحارس الخاص لـ (نو) فى هدوء ، يخالف الصرامة المرتسمة على ملامحه وملامح زميله ، وتنفس (بوند) الصعداء ، وتراخت عضلاته المتوترة ، عندما قال (نو) فى هدوء وبساطة :

— إنها التاسعة إذن .. هيا .. سنتم حديثنا حول المائدة .

لم يكد يتم عبارته حتى انزاح الحائط من خلف الحارس وزميله ، وتبع (بوند) و (وهنى) (نو) ، عبر الفجوة ، إلى حجرة خشبية انيقة ، تتدلى من سقفها ثريا ضخمة ، على هيئة شموع مشتعلة ، وتحتها مائدة مستديرة ، معدة لثلاثة اشخاص ، وأرضها مفروشة ببساط أزرق سميك ..

واتخذ (نو) مقعدا متوسطا ، بحيث جلست (هنى) إلى يمينه ، وجلس (بوند) إلى يساره ، وبدت الحجرة على الرغم من بساطتها — شديدة الجمال والذوق ، على حد يكفل لها منافسة افضل قاعات (هوليود) ، وراح الحارسان يخدمان

المجموعة الصغيرة فى مهارة وسرعة ، وسرى جو مرح فى أثناء العشاء ، على نحو جعل الأمر يبدو وكأنه دعوة بين أصدقاء قدامى ، وتساءل (بوند) عما إذا كان حديثه قد وجد صدى فى نفس (نو) ، ثم تساءل عما سيفعله (نو) معه ومع الفتاة !.. هل سيقتلهما حقا ؟!

لم يقلقه الأمر بقدر ما راح يدرسه ، متسائلا عما إذا كانت (لندن) ستلتقط الخيوط التى أمسكها هو أم لا ؟.. هناك على أية حال (بليدل سميث) ، والفاكهة المسمومة ، و ... لا .. إن (نو) شديد الثقة بنفسه ، وشديد المهارة فى الوقت ذاته .. إنه سيجيب فى بساطة : « لم أسمع قط عن (كواريل) أو (بوند) .. » ، ولن يكون هناك مجال لتكذيبه .. أما بالنسبة لـ (هنى) فلن يربط مخلوق واحد بينها وبينه ، ولن يبدو اختفاؤها عجيبا أو مثيرا .. سيظن الناس أنها قد غرقت فى أثناء بحثها عن القواقع والمحارات النادرة ، ومن المستحيل فى الوقت نفسه أن يتنبأ بمصير (نو) ، فالأمور الخاصة بهذا الرجل لا تزال مبهمة غير واضحة ..

وحاول (بوند) أن يشغل (هنى) بالحديث عن الطيور والحشرات ، وانتهز فرصة وجود سكين



رفع يده اليسرى ، وترك السكين يسقط فى كمه الواسع ، ويستقر عند ضلوعه ، وتظاهر بشد الحزام ..

الخبز فى يده ، فأسقط كأسه عمدا ، وفى غمرة الارتباك الوقتى ، الذى احدثه تحطم الكأس ، واعتذار (بوند) الشديد ، وتأسفه المبالغ فيه عما سببه من فوضى ، رفع يده اليسرى ، وترك السكين يسقط فى كمه الواسع ، ويستقر عند ضلوعه ، وتظاهر بشد حزام الثوب الصينى حول وسطه ، وثبت السكين اسفل الحزام فى ارتياح ..

ولم يكد العشاء ينتهى حتى وقف الحارسان خلف (بوند) وزميله ، وقد عقدا ساعديهما امام صدرهما ، وقال (نـو) فى جمود :

ـ هل راق لك طعام العشاء يا مستر (بوند) ؟

التقط (بوند) سيجارة من صندوق سجائر (نو) الفضى ، واشعلها فى هدوء ، وهو يشتم رائحة الغدر مختلطة بدخانها ، عبر صوت (نـو) ، وقرر ان يحصل على قداحة السجائر كسلاح آخر ، وهو يقول :

ـ إنه عشاء ممتاز بحق .

ثم التفت إلى (هنى) ، واستطرد وهو يخفى القداحة فى مهارة :

ـ اليس كذلك ؟

تمتمت (هنى) فى قلق :

ــ هذا صحيح ..

ابتسم لها لحظة ، ثم التفت يسأل (نو) :

ــ ماذا سيحدث الآن يا دكتور (نو) ؟

ــ لقد فحصت اقتراحك من كل الوجوه يا مستر (بوند) ، ولم اقبله شكلا أو موضوعا .

ــ قرار غير حكيم يا دكتور (نـو) .

ــ ربما يا مستر (بوند) ، ولكننى اشك فى أقوالك ، فرجال مهنتك لا يلقون مثل هذه المقترحات ، ومن المعتاد ان يبلغوا رؤساءهم تفاصيل ونتائج مهماتهم ، ويبدو انك تسرف فى مطالعة القصص البوليسية يا مستر (بوند) ، فالأمور لن تتعقد ابدا كما تظن .. ربما يصل رجال الشرطة والجيش ، ويسألون : أين الرجل والفتاة ؟.. ماذا ؟.. رجل وفتاة ؟!.. لست ادرى شيئا عنهم .. هيا .. انصرفوا بسرعة ، فليس لدى وقت أضيعه فى تفاهات واتهامات جوفاء ، لا تستند إلى اية أدلة مادية .. اعطونى دليلا واحدا .. مجرد دليل .. ارايت يا مستر (بوند) ؟.. الأمر ابسط من ان نلجأ إلى تعقيده .. والآن هل لديك سؤال آخر ، أو كلمة تحب توجيهها إلى ؟.. هيا .. الوقت

يقصر كثيرا ، وستصل سفينة الشهر غدا ، وانا احتاج إلى قدر من النوم .

تطلع (بوند) إلى (هنى) ، ورآها شاحبة كالموت ، تحدق فيه فى رجاء ، وكأنما تستعطفه أن ينقذها ، فقال :

ــ حسنا .. ماذا ينتظرنا ؟.. ما الفصل الثانى ؟.. كيف ستحصل على القوة ؟

ــ اه .. انت تشعر بالحيرة حتما يا مستر (بوند) ، ولا يمكنك مقاومة عادة إلقاء الأسئلة ، حتى وانت قيد خطوة واحدة من الموت .. لا باس يا مستر (بوند) .. ساخبرك بكل ما ترغب فى معرفته .. ستكون هذه الجزيرة منارة إشعاع الحضارة والمعرفة للعالم كله .. هل تعلم ان جزر (ترك) ، التى تبعد عنا ثلثمائة كيلومتر ، هى أهم مراكز اختبارات الصواريخ الموجهة ؟.. لا شك انك قد سمعت عن الصواريخ التى فقدت فى الجو ، والتى رفضت الإصغاء لأوامر التوجيه ، وأبادت نفسها فى الجو .. هل تعلم السبب المباشر لهذا الفشل يا مستر (بوند) ؟. إنه جزيرة (كراب كى) .

ــ اى قول هذا ؟

ـ إنه قول عسير الفهم ، ولكنه بسيط تكنولوجيا ، فهناك طاقم من رجالى يتابع إطلاق الصواريخ ، وطاقم آخر يختبىء مع معدات يفوق ثمنها المليون دولار ، فى باطن الجبل ، ومهمته هى انتظار انطلاق الصواريخ ، ثم إرسال موجة ذبذبة قوية تعوق طريقها ، وتسقطها فى الاطلنطى ، بعد ان نصيبها نحن بجنون إليكترونى ، ونحدد موضع سقوطها بمنتهى الدقة ، ونتأكد من اننا نستطيع تبديل مسارها يوما ، وتوجيهها نحو الهدف الذى نختاره لها ..

ـ هل ستقتل نصف العالم لتحقيق اغراضك ، وتبنى مجدك الزائف يا دكتور (نو) ؟.. اراهنك ان اول رصاصة تخترق صدرك ستكون من احد رجالك ، بعد ان زرعت كل هذا الشر فى نفوسهم .

ـ لست تفهم شيئا يا مستر (بوند) .. إنك غبى وعنيد .. لقد عزلت احد رجالى عن الآخرين ، وكلهم يتصورون انه قد مات ، وهو يحمل نسخة من الشفرة التى نتصل بها بعملائنا فى مركز إطلاق الصواريخ الموجهة ، ومهمته مراقبة كل ما يدور هنا سرا ، ويسلمنى فى كل مرة نسخة من الرسائل

المتبادلة .. كل الرسائل ، وحتى الآن لا توجد فى الجو رائحة مؤامرة .

ـ لست اقلل من شانك يا دكتور (نو) ، فانت رجل شديد الذكاء والحذر ، كما يبدو واضحا ، ولكن من عاش بالسيف مات بالسيف .. ودعنى اؤكد لك امرا .. إن القسم الذى أعمل فى خدمته سينهض كالمارد ، لو اصابنى مكروه ، انا أو (هنى) ، وسيحيل جزيرتك هذه إلى فتات .

ـ لا تحاول ان تلعب لعبة كبيرة يا مستر (بوند) ، ولا تتوقع حدوث معجزة ، فانا مستعد لكل الاخطار والنتائج ، ولقد اعددت لكل شىء عدته .. لقد وجدت الوسيلة للتحكم فى مسار الصواريخ ، وإسقاطها بالقرب من الجزيرة لدراسة تركيبها ، بل تبديل مسارها إلى حيث اريد ، وانت تعلم كم سيسبب صاروخ ضخم موجه من خسائر ، فى الأرواح والمعدات .. والأدهى أن العدو مستعد دوما لدفع مبالغ باهظة ، للوقوف على ما توصل إليه خصمه ، فى مجال الحرب والفضاء ، وكم تظنه يدفع مقابل الصاروخ الواحد ؟!.. خمسة ملايين ؟.. عشرة ؟.. تهديدك إذن لا يساوى شيئا امام كل هذا يا مستر (بوند) .

استمع إليه (بوند) ، وهو يذكر فى انه سيلقى مصرعه بعد قليل ، متخما باسرار (نـو) ، وحصنه الحصين ، فأسرع يرتشف ما تبقى من كاسه ، وهو يقول :

— حسـنا يا دكتور (نـو) .. لقـد سئمت حديثك .. كيف تود قتلنا .. بخنجر ام مسدس ام سم زعاف ؟. هيا .. اخبرنى بسرعة .

اربد وجه (نـو) ، واحتقن غضبا ، وبإشارة منه امسك حارساه بـ (بوند) و (هنى) ، وأمسك (بوند) القداحة فى قبضته بقوة ، وابتسم لـ (هنى) ، قائلا :

— معذرة يا عزيزتى .. يبدو ان حياتينا ستنتهيان الآن .

أطل الرعب واضحا من عينى الفتـاة ، وهى تقول :

— هل سيؤلمنى القتل ؟

انفجر (نـو) كالعاصفة :

— اشد الألم .. إننى اعشق إيـلام الآخرين ، واقضى جل وقتى فى دراسة قدرة الجسـد البشرى على احتمـال الألم ، واقوم بتجـاربى على كل من

يوقعه القدر فى طريقى ، ويوما ما ستقود تجـاربى العالم كله ، إلى حضارة جديدة ، مثلما فعلت تجارب الألمـان على البشر قديما .. لقـد اجريت تجربة يوما على امرأة زنجية ، استغرقت خلالهـا ثلاث ساعات ، قبل ان تقضى نحبها من شـدة الرعب ، وكنت ابحث عن فتاة بيضاء لإجراء التجربة نفسها ، ولقد قادك القدر إلى ..

جلس متطلعا إلى الفتاة المذعورة ، وبدا وكانما يتلذذ برعبها ، وهو يستطرد :

— انت تعلمين حتما ما اعنيه ، فهـذه الجزيرة تسمى (كراب كى) ؛ لانهـا تزدحم بما يعـرف فى (جامايكا) باسم (سرطان البحر الأسود) ، وهو كائن بحرى يملك مخالب قوية حـادة ، وهو يزور الجزيرة بالآلاف ، فى مثل هذا الوقت من العام ، على هيئة جيوش رهيبة مخيفـة ، تختفى بين شـقوق المرجان ، وتنشط فى الليل بحثا عن طعام تفترسه ، والليلة ستعثر على امراة بيضاء بضة ، وستمزقها بمخالبها شر ممزق .

أطلقت (هنى) صرخة رعب هائلة ، وبدت وكانما ستفقد وعيها ، فقاوم (بوند) عبثا ذراعى سجانه ، وهو يصرخ :

ـ ايها الوغد الزنيم .. سأرسلك إلى الجحيم من اجل هذا .

ابتسم (نو) ابتسامته الواثقة ، وهو يقول :

ـ لست أومن بوجود الجحيم يا مستر (بوند) .. ولا تقلق بشأن صديقتك كثيرا ، فنبض العروق يجذب (السرطان الأسود) عادة ، وقد يبدأ فى التهام قلب صديقتك أولا ، فلا تتجشم عذابا طويلا ، قبل أن تلقى مصرعها .

ثم أضاف عبارة باللغة الصينية ، فحمل الحارس الآخر الفتاة ، وكأنما هى دمية صغيرة ، وغادر الحجرة ، فى حين تضاعف شعور (بوند) بالسكين الملتصق بمعدته ، والقداحة المستقرة بين أصابعه ، وتمنى لو يبدأ هجومه على (نو) الآن ، وسمع هذا الأخير يقول :

ـ قلت لك إن القوة خادعة يا مستر (بوند) ، ولكن دعنا من الفتاة الآن ، ولنناقش مصيرك أنت .. إننى مغرم فى الواقع بتشريح الجسد البشرى ، وبدراسة قدرة المرء على ممارسة شجاعته واحتمال آلامه ، وهذا يحتاج إلى أن يواجه المرء صراعا ما .. وهذا ما سيحدث لك .. سنجرى

عليك تجربة فريدة ، فأنت الآن قد تناولت طعاما جيدا ، وحصلت على قدر كاف من النوم ، وستبدأ الآن تجربة نادرة ، لم يواجهها إنسان من قبل ، وأعدك أن أقوم بتشريح جثتك فى حال مصرعك ، لمعرفة سبب فشلك فى التجربة .

وفى هدوء ، نهض (نو) من مقعده ، واتجه نحو باب الحجرة ، والتفت إلى (بوند) وقال فى هدوء ، وهو يسلط نظرة قوية على وجهه :

ـ حظا سعيدا يا مستر (بوند) .

وأوصد الباب خلفه فى إحكام ..

وفى نفس اللحظة سمع (بوند) صوت خادم المصعد من خلفه يقول :

ـ هيا يا مستر (بوند) .

وبكل هدوء اتجه (بوند) نحو المصعد ، مع حارسه ..

ونحو المجهول ..

* * *

١٦ – التجربة ..

توقف العامل أمام أزرار المصعد ، حتى يخفى عن (بوند) اتجاهه ، والدور الذى سيبلغه ، ولكن (بوند) استنتج الجوابين بتقدير الحركة والمسافة ، حتى توقف المصعد أمام ممر طويل مغطى بسجاد سميك ، فسار (بوند) عبر الممر الطويل ، وبدا له من الصوت المنبعث من خلف بعض الأبواب المغلقة ، أنه قريب من حجرة الآلات ، التى تدير كل هذا الوكر العجيب ، وكانت الأبواب تحمل حروف الهجاء بالترتيب ، ولم يكد حارسه يلمح الباب الذى يحمل الحرف (ك) ، حتى دفع (بوند) داخل الحجرة المفتوحة ..

ووجد (بوند) نفسه داخل زنزانة من الحجر ، مطلية بطلاء رمادى ، ليس بها سوى مقعد خشبى، وضع عليه فى عناية بالغة قميص (بوند) الأزرق وسرواله الداكن ، وقال الحارس وهو يهم بإغلاق الباب :

– إنها نهاية المطاف .. اجلس حتى الموت ، أو أوجد لنفسك مخرجا .

قال (بوند) فى هدوء :

– ما رأيك فى عشرة آلاف دولار ، وتذكرة سفر مفتوحة ، إلى أى مكان فى الدنيا ؟

ابتسم الحارس ، وبدت أسنانه الصفراء واضحة ، وهو يقول :

– لا يا سيدى .. إننى أفضل البقاء على قيد الحياة .

– يمكننا أن نفر من هنا معا .

صرخ الحارس :

– إليك عنى .

وأغلق الباب فى إحكام ..

وراح (بوند) يدرس زنزانته جيدا ..

لم تكن هناك سوى فتحة واحدة للتهوية ، مغطاة بسلك سميك ، ولكنها تكفى لمرور جسده ، وكانت ساعته تشير إلى العاشرة والنصف ، وموعد خروج جيش السرطان الأسود يقترب ، ومعه يقترب مصرع (هنى) ، ومن المحتم أن يعمل هو بأقصى قوته وسرعته ، لو أراد استعادتها على قيد الحياة ..

وبسرعة خلع (بوند) الزى الصينى ، وارتدى قميصه وسرواله ، واستل السكين ، وراح يختبر

قوتهـا بحفر الحائط الصخرى ، ثم وضـعها بين أسنانه ، وجذب المقعد إلى أسفل فتحة التهوية ، ووقف فوقه ، ومد أصابعه عن آخرها ، حتى لمس السلك الذى يغطى الفتحة ..

وفجأة شعر بصدمة قوية ، دفعته بعيدا ، والقته أرضا فى عنف ..

كانت الأسلاك مكهربة ..

وراح (بوند) يهز رأسه فى قوة ، ليتخلص من أثر الصدمة الكهربية ، ورأى أطراف أصابعه محروقة ملتهبة ، إلا أن هذا لم يثنه عن عزمه ، فالتقط الزى الصينى ، ومزقه تمزيقا ، ثم صعد مرة أخرى إلى النافذة ..

وبمعاونة القماش العازل ، أمكنه انتزاع الغطاء الشبكى هـذه المرة ، فهبط ليجلس على مقعده ، وراح يستخدم قدم المقعد كمطرقة ، حتى صنع من الأسلاك رمحا حادا مدببا ، ثم صعد فـوق المقعد للمرة الثالثة ، وتطلع عبر النافذة ..

بدت له الفتحة كافية لمرور جسده ، وعلى ضوء القداحة ، وجدها تمتد على هيئـة أنبوب طويل ، يبدو وكأن لا نهاية له ..



ومد أصابعه عن آخرها ، حتى لمس السلك الذى يغطى الفتحة .. وفجأة شعر بصدمة قوية ، دفعته بعيدا ، والقته أرضا فى عنف ..

ودفع (بوند) جسده عبر الفتحة ، وراح يزحف داخل الأنبوب ، وايقن على الفور ، من رائحة الهواء النظيف ، انهـا فتحة هواء التكييف ، وراح يكمل طريقه عبرها ، وهو يتسـاءل اى هول ينتظره فى نهايتها ، إلا انه لم يجد امامه سـوى نهاية الممر ، وبداية اسطوانة ترتفع إلى اعلى ، لمسافة عشرين مترا تقريبا ، وينبعث داخلها ضوء قوى ، وكأنهـا فوهة مدفع مصوبة إليه ..

وتساءل (بوند) هل يمكنه تسـلق الاسطوانة ذات الجدران الملساء ام لا ؟

ودون ان يمنح نفسه فرصة للتفكير والتراجع ، الصق ظهره بجدار الاسطوانة الداخلى ، والصق قدميه العاريتين بالجدار المقابل ، وراح يدفع جسده إلى اعلى فى بطء مثير للتوتر ..

ومضى الوقت بطيئا ، و (بوند) يصعد مترا ، ويهبط قليلا ، ويتوقف بضـع لحظات ليبرد الهواء عرقه ، الذى يكـاد يدفعه للانزلاق إلى اسفل بين حين وآخر ، والسكين بين اسنانه ، يضغطها فى إحكام ..

ثم ارتطم راسه بقمة الاسطوانة ..

لقد بلغ النهاية ..

لا .. لقد راى امامه انبوبا جديدا ..

وبكل ما تبقى فى جسده من قوة وإصرار ، دفع جسده إلى الأمام ، وسقط على وجهه داخل الانبوب الجديد ، ثم اسرع ينقلب على ظهره ، وهو يلهث فى شدة ..

لم يكن يدرى لحظتها اين هو ، ولكنه كان يحدق فى نافذة زجاجية ، هى مصدر ذلك الضوء ، الذى يملأ المكان ويغمره تماما ، و ..

وفجأة انتفض جسده فى قوة ..

لقد راى عينين تحدقان فى وجهه ، عبر النافذة ، ثم تختفيان فى سرعة ..

إنه احد رجال (نو) حتما ..

ذلك الوغد يتتبع خطواته إذن ..

فليكن ..

لا مجال للتراجع ، على الرغم من هذا ..

وبمزيد من الحزم ، امسك (بوند) السكين بين اسنانه ، وراح يواصل طريقه إلى الامام ..

وراح الضـوء يخفت تدريجيا ، والحرارة ترتفع داخل الأنبوب ، فاشتـعل (بوند) قداحته ، وهو

يتصبب عرقا ، ومال مع الأنبوب يمينا ، وخيل إليه أنه يميز رائحة معدن منصـــهر ، وارتفعت حرارة الأنبوب تحته فى شدة ..

وبلا تردد ، خلع (بوند) قميصه ، ومزقه بالسكين إلى شرائح صغيرة ، لفها حول يديه وقدميه ، ورفع معدته عن أرضية الأنبوب الساخنة ، وواصـــل زحفه فى إصرار نحو الحرارة المرتفعة ، على الرغم من الأدخنـــة المحيطة به ، والعرق الغزير ، الذى يلهب عينيه ..

وراح يصرخ ألما كلما لمس جزء من جسده الأنبوب الملتهب ، ولكنه لم يتوقف ، وقرر أنه لن يستسلم أبدا ، فصراخه يؤكد أنه ما يزال حيا ، وسيبذل اقصى جهده لحماية حياته ..

وحياة (هنى) ..

وفجاة لمست يده شيئا باردا ، فاندفع يعبـــر عوازل من مادة (الاسبستوس) ، وتبعها عبـــر منحنى آخر شديد الإظلام ، يكفيه فيـــه أنه بارد كالثلج ..

وفى استسلام ألقى (بوند) جسده أرضـــا ، وعاد يلهث ..

اخيرا عاد إلى الهواء البارد ، بعد ان كاد يشوى حيـــا ..

وانتعش (بوند) بعد قليل ، ولاحت له بقعـــة ضوء من بعيد ، فاستجمع قواه ، وذهب إليها ..

ومرة اخرى راى نافذة زجاجية ، وخلفها عينان ترقبانه ..

وأسرع (بوند) يبتعد ، وقد أثارت تلك المراقبة ثائرته ، وجعلته يشعر وكأنه حيوان تجارب يرقبه احد العلماء فى شغف ، عبر متاهة قاتلة ..

واخيرا رأى (بوند) القمر من بعيد ، فى نهاية الأنبوب ..

وبكل لهفته للنجاة ، راح يزحف نحـــوه ، وهو يمنى نفسه بالخروج من هذا التيه القاتل ، ويحاول إقناع نفسه بأنه كان سيلاقى ما هو أشد هولا ، لو أنه مجـــرد مســـافر عادى ، سقطت طائرته وارتطمت بالأرض ، و ...

وفجاة لاحت له اجسام صغيرة تعبر بينه وبين صورة القمر ، فأسرع يشعل قداحته ، واختفت تلك الأجسام على الفور ، وإن رأى على ضوء القداحة

ان نهاية الانبوب مغلقة بشبكة اخـرى من الأسلاك السميكة ..

ثم رأى تلك الأجسام الصغيرة فى وضوح ..

كانت عناكب حمراء بشعة ، من النوع السام ، يبلغ طول الواحـدة منها سبعة سنتيمترات على الأقل ، وكان هناك ما يقرب من عشرين واحـدة منها ، تعترض طريقه إلى الخارج ، وكان عليـه ان يعثر على وسيلة لعبورها ..

وادرك بغتة انه يحمل الوسيلة ..

واشـعل (بوند) قداحتـه بأقصى قوتهـا ، وصدر منها لسان من اللهب ، جعل العناكب تتراجع ، وتنكمش كلها فى ركن قصى ، وهنا أخرج الرمح الذى صنعه من أسلاك الشـبكة الاولى ، وراح يطعن العناكب واحدة بعد الأخرى ، وثارت ثائرة العناكب السامة ، وحـاولت مهاجمته ، فأطلق اللهب فى وجوهها ..

واستمر قتاله مع العناكب قرابة نصف الساعة ، حتى قضى عليها كلها فى النهاية ..

وعندئذ مزق (بوند) الشبكة ، وعبرهـا فى سرعة ..

ولكنها لم تكن نهاية المطاف ..

لقد خدعه بصره ..

لم يكن ذلك الضوء ضوء القمر ، بل كان ضوء نافذة اخرى ، تطل من خلفها عينان مراقبتان ..

وهذه المرة استلقى (بوند) ، وتظاهر بالموت ..

وعلى الرغم من عينيه المغلقتين ، كان يشـعر بنظرات المراقب ، الذى لم يلبث ان غادر موقعه فى سرعة ، وكأنمـا هـرع ليبلغ (نـو) أمر مصرع (بوند) ..

وبسرعة واصل (بوند) تقدمه عبر الممر ، الذى راح ينحدر تدريجيا ، ويزداد انحدارا واتساعا ..

وفجأة فقد (بوند) توازنه ، ووجد نفسه ينزلق عبر الممر فى سرعة ..

وفجأة ايضا عبره إلى الهواء الطلق ..

ووجد نفسه يهوى من حالق ..

نحو مصير مجهول ..

* * *

١٧ ـ أذرع الموت ..

هوى (بوند) بكل ثقله عبر الهواء ، وخيل إليه لحظات أن مصيره المحتم هو الموت سحقا ، إلا أن عينيه لمحتا بغتة سطح المـاء الفضى ..

وبحركة غريزية تنـاول (بوند) السـكين بين أسنانه ، ومال برأسه إلى أسفل ، ومد ذراعيـه إلى الأمام ..

وارتطم بالمـاء ..

وغاص ما يقرب من ستة أمتار ..

وفقد الوعى ..

وفى بطء راح جسده يصعد إلى السطح تدريجيا ، فأرسل مخه إشارة إلى أطرافه ، واستعاد وعيه دفعة واحدة ، فراح يضرب الماء بذراعيه وساقيه ، صاعدا إلى أعلى ..

وعندما صعد إلى سطح المـاء ، راح يسعل فى شدة ، إلا أنه لم يكد يلمح الشاطىء من بعيد حتى سبح نحوه على الفور ، ولكن حاجزا من الأعمدة الحديدية اعترض طريقه ، فتعلق به ليحصل على قدر من الراحة ، وبدت له أضواء الفجر من بعيد ،

ولاحظ أن الماء أسفله عميق ، وأن تلك الأعمدة ترتفع إلى علو مترين تقريبا ، وتغوص إلى القرار ..

وانتبه (بوند) إلى سرب من الأسماك يقتـرب منه ، ويلتقط نقاطا صغيرة تسبح حوله ، ثم انتبه فجأة إلى أن هـذه النقاط السـوداء هى دمـه المتخثر ..

نعم .. كانت الدماء تسيل من كتفه وركبتـه وقدميه ، وكان ماء البحر يكوى جروحه ، ويؤلمه ..

وخشى لحظة أن تكون تلك الأسماك الصغيرة من الأسماك المفترسة ، ولكنها تلتهم دمه فحسب ، ولكن لو أن رائحة الدم قد جذبت الأسماك الصغيرة هكذا ، فماذا عن (الباراكودا) وأسماك القرش ..

بدا له أن الغرض الوحيد من إقامة هذا الحاجز من الأعمدة هو احتجاز الأسماك المفترسة ، ومنعها من بلوغ البحر المفتوح ، إلا أن هذا يمنعه من تسلق الحاجز ، والعبور إلى الجانب الآخر منه ، مهما كان الثمن ..

لقد اسـتنفذ (بوند) قواه تمامـا ، واعتصرها اعتصارا ، حتى ليكاد يستسلم للموت الآن ، لولا رغبته العارمة فى إنجاح مهمته ، وإنقاذ (منى) ..

وفجأة تجمدت الدماء فى عروقه ..

لقد بدا المـــاء من تحته وكأنه يغلى ، ثم برزت امامه بغتة عينان كبيرتان ..

إنها إذن مفاجأة (نو) الأخيرة ..

الحلوى التى تأتى فى نهاية الوجبات ..

كان هذا الشىء اخطبوطا ضخما ..

ذلك الحيوان ، الذى قالت عنه الأساطير : إنه يلف أذرعته حول القوارب ، ويجذبها معـــه إلى القرار ..

وبسرعة راح (بوند) يتسلق الحاجز الحديدى ..

لقد صار العبور إلى الناحية الأخـرى محتمـا الآن ..

وفى صبر وهدوء ، راح الأخطبوط يراقبه ، ثم مد إحدى اذرعته فى بطء ، وراح يتحسس بها سـاق (بوند) ، الذى يهبط من الناحية الأخرى من الحاجز ، وكأنما يختبرها قبل الهجوم ، ثم ارتفعت الذراع إلى وسط (بوند) ، والتفت حوله ..

وفى هذه اللحظة حلقت اسراب الطيور ، وارتفع صـوت باخرة الشحن الشـهرية ، إيذانا ببـدء احتفالات عمال الجزيرة . .

وفجأة التفت الذراع حول وسط (بوند) ، وقفزت ذراع أخرى لتضربه فى وجهه ، ولكن (بوند) أبعد

وجهه فى الوقت المناسب ، فارتطمت الذراع بالحاجز الحديدى ، واعتصرت الاخرى وســط (بوند) ، حتى كادت تنغرز فيه ..

وبكل قواه ، راح (بوند) يطعن ، ويطعن ، ثم استل الرمح من جســده ، والذراع تكاد تشــطره شطرين ، وترك جسده ينزلق فى سرعة ، وغرس الرمح فى عين الأخطبوط بكل قوته ..

وتفجر البحر من حوله ، وسقط فى دوامة رهيبة ، وتشبث بالحاجز الحديدى بكل قواه ، حتى غمره الضـوء ، ووجد نفســه وحيـدا ، مغطى بالحبر الاسود ، الذى اطلقه الحيوان فى وجه ..

ولكن اين ذهب ؟..

لم ينتظر ليأتيه الجواب ، بل راح يسبح نحـو الشاطىء الصخرى بكل ما تبقى من قواه ، وخيل إليه انه يجر خلفه دبابة كاملة ، حتى انه لم يكد يبلغ الشاطىء حتى ارتمى فوقه كالقتيل ، وكشف انه مصاب بعدة جروح وقروح ، فى انحـاء شتى من جسده ، إلا ان اعضاء جسده كلها سليمة ، لم يفقد منها عضوا واحدا ، او يكسر طرف واحد ..

وقرر (بوند) ان يواصـل كفـاحه ، فلم يبق إلا القليل ، ثم إن عليه ان يبذل اقصى جهده لإنقاذ

(هنى) ، والانتقام لمصرع (كواريل) ، وتحطيم (نـو) بجنونه وسطوته ، قبل أن يعانى العـالم كله من هلوسته وهذيانه ..

ومن بعيد تناهى إلى مسامعه صوت العمال ، وهم ينقلون مخلفات الطيور إلى السفينة ، وبدت له السماء من فوقه صـافية ، تحوم فيها اسراب الطيور ، واستنتج (بوند) ان السـاعة تقارب السادسة ، وكاد يستسلم لقليل من النوم ، لولا أن تناهى إلى مسامعه صوت قريب يقول :

ـ هيا .. انطلق .

وأعقبه صوت يهتف :

ـ لا بأس .

ثم تبعهما هدير آلة ضـخمة ، جعلت (بوند) يقفز من مكانه ، ويهرع إلى مصدر الصوت ، حيث ابرز راسه فى حذر ، وراح ينعم النظر فيما أمامه ..

كانت هـذه هى الآلة التى تجمع المخلفـات ، وتذهب بها إلى حيث ترسو السفينة ..

وهنا برزت الخطة فى رأس (بوند) ..

واشتعل حماس الصراع فى أعماقه ..

* * *

١٨ ـ الهجوم ..

انتظر (بوند) حتى استرد انفاسـه ، واستعاد بعض قواه ، ثم دس السكين فى حزامه من الخلف ، واطمأن إلى وجـوده ، ثم راح يدرس موقفه من جديد ..

على بعد عشرة امتار منه فقط ، تتحرك رافعة نقل مخلفات الطيور ، يقودها رجل صينى واحد ، فى حين تبدو سفينة نقل المخلفات هادئة ، خاوية ، إلا من رجل واحد يقف على سـطحها ، إلى جوار عجلة قيادتها ، فى حجرة خاصة ، على حين يبدو ان باقى طاقمها يختفى فى قرارها ، بعيدا عن ذلك الغبار الضار ، المتطاير من مخلفات الطيور فى اثناء نقلها ، فى حين كان هناك سير آلى ضخم ، يهبط من قمة الجبل إلى حيث تقف الرافعة ، وتتحرك فوقه اكياس من الخيش ، تمتلىء بالمخلفات ، ويتم تفريغها آليا ، لتنقلها الرافعة إلى السفينة ، وإلى يسـار المرسى وقف دكتور (نو) من بعيد ، يراقب ويباشر عملية النقل والشحن ..

فقط رجل او رجلان فى موقع العمل ، والباقى كله

آلات اخترعهـا ذلك العبقرى المجنـون دكتور (نو) ..

ولكن لا ريب انه هناك عدد هائل من العمال فوق الجبل ، يعملون على ملء اكياس الخيش بمخلفات الطيور ، ومن الواضح انه غير مسموح لهم بالاقتراب من هذا الجانب ..

وراح (بوند) يختبر ارض المعركة ، ويدرسها جيدا ، ثم لم يلبث ثغـره ان افتر عن ابتسـامة ارتياح ، وهو يتمتم :

— لابد من تنفيذ الخطة بسرعة ، ودون إبطاء .. وستكون النتائج رائعة .

كان سائق الرافعة مندمجا فى عمله تماما ، حتى انه لم يلحظ (بوند) ، فى حين كان (نو) يقف على بعد عشرين مترا ايضا ، موليا ظهره إلى حيث يقف بطلنا ..

وبغتة تحرك (بوند) ..

انطلق يعدو نحو الرافعة ، وبخفة نمـر التقط سكينه ، وقفز يتسلق الرافعة فى رشاقة ، ثم هوى بخنجره على عنق قائدها الصينى ، ولم ينتظر حتى ليسمع صرخة الألم ، التى اطلقها الرجل ، بل ازاحه عن مقعـده ، واحتـل مكـانه فى لمـح البصر ،

وراح يواصل العمل فى سرعـة ، كأن شيئا لم يتغير ..

وتعلقت عيناه بـ (نو) ، الذى بدا وكأنما ينادى شخصا ما ، او يتحدث فيما يشـبه الهـاتف بين يديه ..

وفى حزم ، ادار (بوند) الرافعة المحملة بمخلفات الطيور نحو (نو) ..

وافرغها ..

افرغها فوق الصينى العبقرى ، الذى فغر فاه فى ذهول ، واطلق صرخة مفزعة ، وراح يلوح بيديه فى رعب ، والمخلفات تهوى على راسه ..

ثم صمت (نو) ..

صمت بعد ان اختفى جسده كله تحت مخلفات الطيور ..

ولم يتوقف (بوند) ..

راح يعمل فى مزيد من الهمة والنشـاط ، وجبل المخلفات يرتفع فوق جسد (نو) .. ويرتفع .. ويرتفع ..

وهنا اطلقت السفينة ثلاث صفارات متقطعة ، ثم اتبعتها بواحدة طويلة متصلة ..

وادرك (بوند) ان ساعة الهرب قد حانت ..

وبسرعة انحنى (بوند) ينتزع مسدس قائد الرافعة القتيل ، ودسه فى جيب سرواله ، ثم قفز إلى الأرض ، ولمح سلما يصعد إلى قمة الجبل ، حيث تتم تعبئة المخلفات ، وينتهى عند القمة بباب حديدى ، فاندفع يصعد فى درجات السلم كالصاروخ ، ودفع الباب ، الذى استجاب له فى بساطة ، وقاده إلى نفق خافت الأضواء ، يعبق برائحة النشادر ، وعبره (بوند) بأقصى سرعته ، دون أن يتساءل عما ينتظره فى نهايته ..

كان هدفه كله هو أن يجد حارسا ، يمكنه أن ينتزع منه مكان (هنى) ..

وفجاة اصطدم (بوند) بشخص ما ، وقفزت قبضتان تعتصران عنقه ، ولكن (بوند) مال بجسده كله إلى أسفل ، وامسك ساقى العملاق ، الذى يعتصر عنقه ، وجذبه فى قوة ، فسقط الرجل على ظهره ، ودفعه (بوند) نحو السير المتحرك ، فارتطم به الرجل ، واطلق صرخة مجلجلة فى المكان كله ، والسير يمزقه شر ممزق ..

وفجاة انغرست أسنان حادة فى كتف (بوند) ، وشعر بأظفار قوية تمزق عضلاته ، فأدار كفيه إلى



وراح يلوح بيديه فى رعب ، والمخلفات تهوى على راسه ..

ما خلف ظهره ، وامسك بالجسد الضئيل الصغير ، ولم يكد يلتفت ليواجهه ، حتى وجد نفسه يصرخ :

— (هنى) ؟!.. مستحيل !

هتفت (هنى) :

— (جيمس) .. يا إلهى !.. (جيمس) .

ثم القت نفسها بين ذراعيه ، وتفجرت باكية ، مستطردة :

— لست أصدق يا (جيمس) .. اهو انت حقا ؟!.. اهو انت ؟!

ربت على كتفها مطمئنا ، وهو يقول :

— لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لقد مات (نو) ، وعلينا ان نغادر هذا النفق اولا ، ثم نبادر بالفرار من الجزيرة كلها .. اخبرينى : كيف وصلت إلى هنا ؟

— إن نهاية هذا النفق قريبة ، حيث يوجد نفق جانبى آخر ، ينتهى بورشة الآلات .

اتبعينى إذن .

راحا يعدوان عبر النفق ، حتى بلغا نهاية النفق الجانبى ، الذى يتشعب إلى ثلاث اتجاهات ، وقبل أن يسأل (بوند) (هنى) عن الاتجاه المناسب ،

سمع وقع اقدام تقترب فى سرعة ، فاستل مسدسه مغمغما :

— يبدو أننا سنضطر لقتلهم .

اجابته (هنى) فى كراهية :

— إنهم يستحقون هذا .

صمت الاثنان ، وتعالى صوت ثلاثة رجال يقتربون ، وارتفع صوت احدهم ، وهو يقول :

— لقد ربحت الرهان يا (سام) .

وقال الثانى :

— سنسحقها سحقا .

أما الثالث فاطلق ضحكة عالية ، قبل ان يقول :

— ليس قبل ان انهى عملى مع الفتاة .

وهنا برز (بوند) من مخبئه ، وقال :

— هذا لو انك ستبقى حيا لتفعل .

التفت إليه الرجال الثلاثة فى سرعة وذعر ، واخترقت رصاصته راس اولهم ، قبل ان يدرك حتى ما حدث ، وغاصت الرصاصة الثانية فى معدة الثانى ، فى حين اطلق الثالث رصاصة مذعورة ، مرقت فوق راس (بوند) ، الذى اطلق رصاصته الثالثة ، فامسك الثالث عنقه ، ودار حول نفسه فى عنف ، ثم هوى جثة هامدة ..

وانطلقت رصاصات أخرى فى الممر من بعيد ، ولكن (بوند) و (هنى) لم يضيعا لحظة واحدة ، بل انطلقا يعدوان بأقصى ما يمكنهما من قوة عبر النفق ، وقد قرر (بوند) أن يقتل كل من يعترض طريقه بلا رحمة ، فلقد كان أملهما الوحيد فى النجاة هو بلوغ الورشة ، والتنين الآلى ..

واطلقت (هنى) صرخة الم ، وهى تسقط ارضا ، فانحنى (بوند) يعاونها على النهوض ، وهو يسألها فى قلق :

ــ هل أصابك مكروه ؟

غمغمت فى تهالك :

ــ إننى مرهقة منهكة فحسب .. امض انت فى طريقك وحدك .

حملها فى حزم ، غير آبه باعتراضاتها ، حتى بلغا الورشة ، فدفع (بوند) بابها بقدمه فى عنف ، ويده تمسك المسدس فى تحفز ، ولكن الورشة كانت خالية إلا من التنين الآلى ، وتمنى (بوند) لحظتها لو ان خزان الآلة الجهنمية يمتلىء بالوقود ..

وفجأة ارتفعت عدة أصوات من الخارج ، ولم يجد (بوند) أمامه من مخبأ سوى التنين الآلى ، فدلف إليه مع (هنى) ، واغلق بابه خلفهما فى

إحكام ، ولاحظ أن مسدسه لم يعد يحوى سوى ثلاث رصاصات فحسب ، وسمع الأصوات داخل الورشة ، وأحدها يقول :

ــ كيف علمت انهم كانوا يطلقون النار ؟

ــ إننى اميز صوت الطلقات النارية جيدا .

ــ حسنا .. خذ هذه البندقية يا (چو) ، وهذه لك يا (ليمى) ، وهناك بعض القنابل تحت المنضدة ، لا ريب ان شيئا قد حدث .. اخبرونى .. هل تفقد أحدكم الفتاة هذا الصباح ؟

ــ لا يا سيدى .

ــ كيف يحدث هذا ؟.. إن امركم يدهشنى فى الواقع .. هيا الآن إلى النفق ، ولو راى احدكم (بوند) ، فليطلق النار على ساقيه ، فالقائد يريده حيا .

بدا وقع اقدامهم يبتعد داخل النفق ، حتى تلاشى ، وهنا ادار (بوند) محرك التنين الآلى ، الذى استجاب بعد عدة محاولات ..

وانطلقت الآلة الجهنمية تشق طريقها ..

وساد الهرج والمرج ..

وانطلق سيل من الرصاصات خلف التنين ،

واندفعت الكلاب المتوحشة إليه ، فاطلق (بوند) ضحكة ساخرة ، وقال :

— إنهم يدفعون الآن ثمن ما فعلوه بغيرهم .

توقف إطلاق النار بعد قليل ، فى حين واصلت الكلاب مطاردتها للتنين ، وهنا اطلق (بوند) رصاصة على أحدها ، فأراده قتيلا ..

وتوقفت المطاردة تقريبا ..

ولخمس دقائق كاملة ، راحت السيارة الجهنمية تسير فى صمت وهدوء ، ثم لم يلبث (بوند) ان قطع حبل الصمت ، قائلا :

— لقد نجونا يا (هنى) .. سيعصف بهم الخوف ، عندما يكشفون مصرع قائدهم الجهنمى .. واظن الأذكياء منهم سيفرون إلى (كوبا) ، وسينسون كل شىء عن (نو) ، فى غمرة اهتمامهم بانفسهم .

ثم ابتسم وهو يسالها :

— ولكن كيف أمكنك الفرار من سرطان البحر الأسود ؟.. لقد كنت شديد القلق عليك طيلة الوقت ، واخشى ان تلتهمك الحيوانات البحرية ، وتحرمنى منك .

اطلقت (هنى) ضحكة عذبة طويلة ، وقالت :

— لقد تصور ذلك الوغد (نو) ، انه يفهم

الحيوانات اكثر منى ، ويبدو انه يخشى سرطان البحر الأسود هذا كثيرا فى اعماقه ، اما انا فلم اخشه ؛ لأن تلك الحيوانات لا تهاجم اى شخص يستلقى هادئا ، دون أن يثير خوفها وذعرها ، ثم إنها لا تميل إلى اللحم ، بل هى حيوانات نباتية تقريبا ، واظن تلك الزنجية التى استخدمها لتجربته الأولى قد ماتت من شدة الفزع ، ولقد احاطت بى سرطانات البحر بالمئات ، ولكننى لم اهتم بها ، فلقد اعتدت ملامسة الحشرات منذ صباى ، ورحت افكر فيك فحسب ، حتى انبلج الصباح ، وعادت السرطانات إلى اوكارها ، وهنا نزعت الأوتاد التى تثبتنى إلى الأرض ، وعدت إلى المبنى حيث تسللت إلى حجرة الآلات ، والتقينا داخل النفق .

ابتسم (بوند) فى حنان ، وربت على كتفها ، قائلا :

— لقد نجونا على اية حال يا عزيزتى .. وانتهى كل شىء .

ومن بعيد ، لاح لهما الساحل ..

ساحل الحرية ..

* * *

١٩ ـ الختام ..

حدق الحاكم فى وجه (بوند) فى ذهول ، قبل ان يهتف فى هلع وذعر :

ـ هل انت واثق مما تقول ؟!

كان من المفزع بالنسبة إليه أن يحدث كل هذا فى مقاطعته ، دون ان يدرى به شيئا ، ولقد اجابه (بوند) فى صرامة :

ـ لقد عشت كل لحظة منه يا سيدى :

انهار الحاكم ، وهو يقول :

ـ ستتسرب الانباء إلى الصحافة حتما .. إلى كل الصحف العالمية .. سأرسل تقريرا عاجلا إلى وزير الخارجية ، واظننى استطيع الاعتماد عليك .. اليس كذلك ؟

لم ينبس (بوند) ببنت شفه ، فى حين تدخل قائد قوات الدفاع فى البحر الكاريبى ، وقال :

ـ عفوا يا سيدى الحاكم .. اظن مستر (بوند) لن يتصل إلا برؤسائه ، ويمكننا ان نبدأ نحن بتطهير (كراب كى) ، دون انتظار اوامر من (لندن) ، و ..

قاطعه الحاكم فى لهفة :

ـ اوافق يا (بريجادير) .. اسرع ، ولا تضيع لحظة واحدة ، وسأقتفى انا اثر رجال (نو) هنا ، وسأرسل الغواصين إلى نهر (موناريزرفوار) ، للبحث عن جثتى (سترانجوايز) و (تروبلود) ، و ...

شرد (بوند) بتفكيره ، وهو يستمع إلى كل هذا ، وترك جسده يسترخى فى مقعده تماما ..

واستعاد كل ما حدث ..

اللقاء مع (هنى) ..

مصرع (كواريل) ..

(نو) وحصنه الحصين ..

وتساءل فى اعماقه عما إذا كان رجال (نو) قد استخرجوا جثة زعيمهم من تحت مخلفات الطيور ، ام انهم قد تركوها فى غمرة ذعرهم وتعجلهم ..

وانتزعه من شروده صوت السكرتير العام ، وهو يذكر اسمه ، ويضيف فى اهتمام :

ـ لقد نجا من الموت باعجوبة حقا ، والواقع يا سيدى اننا نعجز عن منح الكابتن (بوند) حقه ، فهو يستحق الثناء كله .. لقد انجز ثلاثة ارباع

المهمة وحده ، ولم يعد امامنا سوى إنجاز الربع الباقى ، و ..

كان الحاكم هو الذى يشرد بتفكيره هذه المرة ، وهو يتخيل دور (بوند) فى المهمة ، ثم يحلم بعناوين صحف الصباح التالى ، وهى تقول :

— « الحاكم يتخذ قرارا حاسما » .. « انقلبت جزيرة (نو) راسا على عقب » .. « القوات البحرية الملكية تنقذ العالم من مجنون » .

وفجاة ضرب سطح مكتبه بقبضته هاتفا :

— لقد قررت .. سيبدا الاسطول غزو الجزيرة الآن ..

وابتسم (بوند) ..

فقط ابتسم ..

* * *

بدت (هنى) رائعة الجمال فى تلك الليلة ، فى ردائها الابيض الفضفاض ، وهى تشعل بعض الشموع ، وسط الأطلال المتبقية من قصر والدها ، وابتسم (بوند) عندما وقع بصره على المائدة الصغيرة ، التى اعدت (هنى) فوقها طعام العشاء ، وإلى الملاعق الفضية اللامعة فوقها ، وقال :

— كنت اظنك معدمة يا (هنى).

اطلقت ضحكة صافية ، وهى تقول :

— إنها كل ما تبقى لى من ايام المجد القديمة ، ولقد قضيت اليوم كله فى تنظيفها وتلميعها ، فليس فى كل يوم يحتفل المرء بنجاته من وحش مثل (نو) .

اطلق (بوند) ضحكة صافية بدوره ..

وراح الاثنان يتناولان طعام العشاء على ضوء الشموع ، والهدوء يملأ نفسيهما ..

لقد انتهت أيام الرعب ..

وانتهى دكتور (نو) ..

* * *

تمت بحمد الله

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

دكتور نو



واحدة من أروع روايات (أيان فلمنج) ، رجل المخابرات البريطانية السابق ، ومبتكر أشهر شخصية من شخصيات عالم المخابرات فى العالم أجمع (جيمس بوند) ، وفى هذه الرواية يواجه (بوند) واحدًا من أعتى مجرمى الأرض ، فى جزيرة شيطانية منعزلة ، تثير رعب كل سكان (جامايكا) ، فلمن يكون النصر ؟

الثمن فى مصر
ص
١٢٥

العدد القادم : حرب النجوم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع